الإسلام

بين المذاهب والأديان

تأليف
الدكتور أسعد السحمراني

دار النفائس

الإسلام

بين المذاهب والأديان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهّم بنيان مرصوص ﴾ .

الإسلام

بين المذاهب والأديان

تأليف

الدكتور أسعد السحمراني

أستاذ فلسفة في جامعة بيروت العربية
وكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

دار النفائس

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م

© دار النفائس
بيروت - ص.ب: ١١/٦٣٤٧ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - برقيا: دانفايسكو

مُحتوى الكِتاب

إهداء

إلى المؤمنين المجاهدين من أجل وحدة الصف والكلمة إلى من يمقتون الطائفية والعصبية المذهبية سعياً لمستقبل أرقى وأنقى إلى كل المناضلين ضد الصهيونية والاستعمار وصولاً لواقع اكثر تحرراً وتقدماً .

أسعد السحمراني

مقدّمة

أطلّ القرن الخامس عشر للهجرة يحمل معه مظاهر وبوادر يقظة دينية يمكن رصدها وتلمّسها في غير قطاع وموقع ،ولعل هذه اليقظة الإيمانية التي انبعثت على الصعيد العالمي ، جاءت لتردّ كيد الهجمة من النظريات والأفكار الماديّة على انسانية الإنسان ، وأتت لتعيد الأمور الى نصابها ، وتلغي حالة البحث من غير طائل على الاستقرار في بطون الفلسفات المادية الوضعية من رأسمالية الى ماركسية الى وجودية . . . الخ .

وهذه اليقظة أقلقت معسكرات الصهيونية والاستعمار الذين يعملون جاهدين من أجل الايقاع بالعناصر المتحركة : مؤسسات او أفراد ، من خلال تشجيع حالات التطرف ، والفوضى ، والعصبية ، لابقاء اليقظة والعاملين لها على رمال متحركة تهدّدهم بالتبعثر والضياع .

وقد يكون من المظاهر الخطيرة لما تصنعه أيدي الصهيونية ، والاستعمار ، تلك الطروحات الطائفية ، والعصبيات المذهبية التي جعلها بعض المغرضين محوراً يجمعون حوله الجهلة والمنفعلين الذين لا يملكون صفاء الحس ونقاء السريرة من أجل التمييز بين

الجيّد والرديء ، والحق والباطل . واذا بهؤلاء يأخذون من الإيمان والدين جانب الالتزام بالشكل والمظهر دون المضمون والجوهر ، ليكون هذا الالتزام الشكلي مطية لتحقيق أهداف ومآرب لا علاقة للدين ، ولا للمتديّنين بها .

لذلك وجدت من الواجب عليّ أن أضع عملي هذا بين يدي قرائنا الأحباء ، وبين يدي الحريصين على المسار السليم لليقظة الدينية الايمانية ، وبين يدي أصحاب الهمم الذين يعملون مجاهدين من أجل حرية امتهم وتقدمها ، لاسترداد الدور الحضاري ، والدور الانقاذي للبشرية كلها مما تعانيه ، من ويلات السلاح ، والجوع ، والانحلال الاخلاقي ، والتفكّك الاجتماعي .

هذا العمل الذي حاولت فيه التوفيق بين موضوعية البحث وشديد الحرص على تنفيذ دعوة الله تعالى لبني البشر باجتماعهم على الكلمة السواء التي هي توحيده تعالى ، وعدم الاقرار بالعبودية لغيره .

حاولت في هذه الفصول التي هي أبحاث ومقالات ألقيت ونشرت في أوقات سابقة ، أن أجيب على تساؤلات يحرص كثيرون على معرفة الجواب لها ، ليكونوا على بصيرة من أمرهم .

في هذه الفصول حاولت ايضاح قواعد العلاقات الدينية بين المسلمين أنفسهم رغم تعدّد مذاهبهم،والعلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، وحاولت أن أتلمس الطريق إلى إظهار مخاطر الصهيونية واللادينية (العلمانية) على كل المؤمنين ، خاصة لأننا ، كما سبق ، القول نعيش حقبة بروز مؤشرات اليقظة الدينية .

ما سيرد في هذه الابحاث رؤ ية للعلاقات الدينية على أساس عقيدي من خلال ضوابط شرعية هي الأساس لأي بحث أريد له الدقة والالتزام ، آملاً من الله تعالى أن يكون هـذا العمل حـافزاً لإخـوة كثيرين لكي يولوا هذا الأمر اهتمامهم .

والله أعلم وهو الموفق .

أسعد السحمراني

٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ

٢٠ كانون الثاني ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنّ الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيءٍ﴾

الفصل الأول

وحدة المسلمين وتعدد المذاهب والاجتهادات

الإسلام نقيض التفرقة والعصبية المذهبية

أ ـ مظاهر اليقظة والأطماع الصهيونية والاستعمارية :

يطلّ القرن الخامس عشر للهجرة حاملاً معه مظاهر يقظة إيمانية وإسلامية في العالم كله ، من السهل استكشاف سماتها وآثارها في المحاولة الحاصلة عند أكثر من شريحة اجتماعية ، حيث الانتقال من الالتزام بعقائد إلحادية مادية ، وفلسفات عبثية وغير ذلك ، إلى الالتزام بما أمر به الله تعالى ، والابتعاد عمّا نهى عنه .

ومما يعزّز هذه اليقظة ، ويبشر بنتائج إيجابية لها ، ان العالم العربي خصوصاً ، والعالم الإسلامي عموماً ، يملكان الكثير من الطاقات الكامنة ، ومن القدرات الحضارية والتراثية والاقتصادية والبشرية ، مما يؤهلها وانسجاماً مع مظاهر اليقظة الدينية ، والعودة إلى رحاب الايمان ، للقيام بدور الريادة والقيادة على المستوى العالمي .

ويأتي في رأس هذه الطاقات الموحدة للصفوف ، المحركة نحو التقدم ، واداء دور رسالي عالمي يستهدف إنقاذ الانسان المستخلف في الأرض ، ونقله من العبودية الى الحرية ، من الذلّ

الى العزّة ، من الظلمات الى النور ، الاسلام بكل ما في تشريعاته من قواعد عقيدية وأحكام نصّ عليها القرآن الكريم ، والسنّة النبوية الشريفة ، أو أجمع عليها السلف الصالح من فقهاء ومجتهدين .

هذا الإسلام الذي أرسل به النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وهدى لكل من أراد السعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة . فكانت الشريعة السمحاء ثورة على الوثنية ، ومخلّصاً للإنسان من كل عبودية لغير الله تعالى ، وباعثاً على التحضر في كافة المجالات ، فكان الإنسان في رحاب الاسلام خالص الإيمان من كل شائبة ، حرّاً ، عزيزاً ، آمناً ، وكانت وما زالت ملامح التحضر في كل منطقة وصل إليها العرب والمسلمون ، وهذا ما يشجع الشعوب المعاصرة ، ممن سحقتها مدنيات أوروبا وامريكا ذات السمات المادية ، والنظرية الكميّة ، على أن تتعامل بإيجابية مع اليقظة الدينية ، وتعوّل عليها لكي تأخذ بيدها وتنقذها ، كما كانت الحال منذ أربعة عشر قرناً .

يضاف إلى ذلك الموقع الجغرافي الذي تحتله الأمة العربية في قلب العالم ، الأمة التي نزل القرآن الكريم بلغتها ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، وأمر أبناءها بأن يكونوا رجال الدعوة ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر . وتميّزت الأرض العربية إضافة إلى الثراء الايماني لأنها مهد النبوات ، ومهد دعوات السماء لهداية البشر ، بالثراء الاقتصادي ، ففيها زيادة عن المياه الوفيرة والأرض الخصبة كنوز دفينة من معادن متعددة ، وطاقة شمسية وغير ذلك كثير .

إن هذه الخصائص ، وخاصة في زمن اليقظة الدينية ، كانت وما تزال الحافز للاستعمار بأن يكون العالم العربي والاسلامي محط أطماعه قديماً وحديثاً ، والغرض الرئيسي للصهيونية التي تريد الهيمنة عليه لكي تحقق الحلم الإسرائيلي في بناء الامبراطورية المنشودة ، والملك الذي يمكّنهم من التحكم بالقرار الاقتصادي والسياسي للعالم كافة .

إن الاستعمار الحديث بوجهيه الصهيوني ، والصليبي المعاصر ، يحاول تحقيق أغراضه عن طريق تفتيت وتشتيت الصف العربي والإسلامي ، وذلك بتقوية النعرات الإقليمية ، والعصبيات الجاهلية الطابع التي قضى عليها الاسلام .

لهذا نراهم ينشطون لزرع بذور التفرقة الطائفية والمذهبية ، ويستمرون في اعتماد السياسة الاستعمارية التي قامت وما زالت على شعار « فرّق تسد » .

يتركز العمل الصهيوني وملحقاته في هذه المرحلة على تفريق الصف الإسلامي مذاهباً ، واحزاباً ، وحركاتٍ ، لكي يسهل التمكن منه . ولهذا يسعون لتوسيع شقة الخلاف بين المسلمين ، مستغلين تعدد المذاهب من حنفي الى جعفري الى شافعي الى زيدي ومالكي وحنبلي . . . الخ .

وما ذلك إلا لأن الفرقة تؤدي الى الضعف ، وضعف العرب والمسلمين يسهّل الطريق للأهداف الصهيونية لكي تبصر النور ، ولأن الحفاظ على عقد الجماعة ، مع ما يملك العرب والمسلمون من طاقات ، لا يمكن للصهيونية أو غيرها أن تنال صيدها بالسيطرة

على هذه المنطقة الهامة من العالم .

انطلاقاً من هذه المعادلة عمد الصهاينة والمستعمرون الى « تمزيق الشمل وتفريق الكلمة وتأليب المسلم على أخيه المسلم ، ثم تقريب بعض ضعاف النفوس من أبناء بعض الفرق الاسلامية ، وتشجيعهم والإغداق عليهم ، وبناء آمال لهم كذباً ، وبذلك يخرجونهم عن الصف ويتخذون منهم معاول هدم وأدوات تدمير »[1] .

تأسيساً على ذلك يصح القول بأن كل حقد طائفي أو مذهبي هو وقف على الصهيونية والاستعمار ، لأنها المستفيد الوحيد من التفرقة المضيّعة للطاقات . ولهذا فإنه من الضروري العمل على استئصال كافة أشكال النفوذ الخارجي ، وتصفيته خاصة في ميدان العقيدة ، والثقافة ، والتربية . لأن هذه الميادين هي المنافذ الوحيدة التي يستطيع المستعمر أن يركّز وجوده وسيطرته بواسطتها .

إن هذا الأمر يقتضي تحقيقاً لما نتوخاه من اليقظة الدينية ، أن تتم العودة بفهم المسائل الدينية إلى المنابع الصافية ، وأن تعرض عرضاً سليماً ، بعيداً عن تشويش الجهلة ، وتشويه المغرضين ، لنحقق النتيجة التي تتوخاها الرسالة التي جاءت بالدعوة إلى التوحيد والوحدة ، علماً أنه لا طريق لازدهار وتقدم مجتمعنا إلا بالوحدة .

---

(١) الشكعة ، د . مصطفى ، اسلام بلا مذاهب ، بيروت ، ط ٣ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٦١٣ - ٦١٤ .

ب ـ الإسلام دعوة للوحدة والجماعة :

إن عماد الدعوة الإسلامية هو التوحيد ، لأن توحيد الله تعالى والإيمان به ، يوحد العقيدة والمنهج ، ويوحد المنطلقات والغايات عند غير المشركين ، مما يساهم في جعل وحدة العقيدة جامعاً مشتركاً يلتقي عليه الجميع . ولذلك كانت الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ونار .

لقد حمل الوحي خطاباً في القرآن الكريم يفرض إقامة جبهة الإيمان بين جميع المؤمنين ، في مواجهة عصابات الكفرة والمشركين لأيّ فريق انتموا ، وكانت الدعوة الإسلامية لأهل الكتاب ، ومنعاً للتفرقة الطائفية ، بأن يكون التوحيد هو الجامع المشترك في قول الله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾[1] .

في هذه الآية الكريمة نجد الدعوة الصريحة للوحدة بين أبناء المجتمع الواحد من مسلمين وكتابيين ، لأن الجامع هو توحيد الله وعدم الاشراك به ، ولأنه في وحدة أبناء المجتمع الواحد ، وانصهارهم الخير لهم جميعاً .

ولكي تتقدم المجتمعات ، وتزدهر لا بدّ من تعاون أبنائها . ولأن رسالة الإسلام هي من أجل الإنسان ، فمن البديهي أن نجد في التشريع المنزل من عند الله الدعوة الى الوحدة ، كيف لا ؟ وهي عنوان تقدم وتحرّر ، وصانعة تطور وازدهار .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٦٤ .

نتدرّج قليلاً في تلمّس طريقنا إلى فهم أحكام الشريعة في حقّ الذين يزرعون الفتنة ، ويدعون الى التفرقة بين أبناء العقيدة الواحدة ، ويعملون على إشاعة التناقضات بين أبناء المجتمع الواحد ، فنرى الوعيد لهؤلاء ، أصحاب الدعوات التقسيمية ، بالعقاب .

لقد جاءت شريعة الإسلام بالهدى ودين الحقّ ، لكي تنقذ الناس من العصبية والفردية ، وتبعدهم عن التناحر والاقتتال ، فإذا ببعض المغرضين ، والعاملين في غير سبيل الله ، يعصون أمر الله بالإعتصام بحبله وبالتمسّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، فينشطون لزرع الفتنة والفرقة في كل مكان ، وإلى هؤلاء كان الخطاب في قول الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا بعدما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب أليم﴾(١) .

وفي الوجه الآخر لفهم الآية ومدلولها ، نهيٌ للمؤمنين الملتزمين بما بيّن الله تعالى من أحكام عن سلوك طريق من كان نهجه التفرقة والاختلاف ، لأن هؤلاء ينتظرهم عذاب أليم عند الله تعالى الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

وإذا كانت العقيدة واحدة ، والله الخالق واحد ، وهو الذي استخلف الانسان في الأرض ليعمّرها ويجاهد فيها حق الجهاد في الله بالتعاون مع أخيه الانسان ، وبناء المجتمع على أسس الإيمان بعيداً عن الظلمات والجهل ، واذا كان الخطاب للرسل بأنهم أصحاب عقيدة ، ومنهج واحد في « سورة المؤمنون » ، بقول الله

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٥ .

تعالى : ﴿ ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاتّقون ﴾[1] .

فإنه قياساً على ذلك ليس من حقٍّ أي مسلم أن يدعو الى التنابذ والتناقض بين المسلمين على تعدّد مذاهبهم. ولأن العقيدة واحدة ، إذن من البديهي القول : إن الشريعة واحدة ، والمنهاج واحد ، وما هو متعدّد انما هو فهـم تطبيق الأحكام ، وتعدّد طرق الاستنباط منها . فلا تناقض بل تعدّد سبل من منطلق واحد وإلى غاية واحدة .

أمّـا من يعدّ تعـدّد السبل أصـلاً ، ووحدة العقيـدة والأصول فرعاً ، فيتخذ من تعدّد السبل هذه حجة لابراز عدم امكانية الالتقاء ، أو ذريعة لشقِّ الصفوف ، وتفرقة أبناء المجتمع ، لاستبدال الوحدة المجتمعية بكيانات صغيرة تحلّ فيها المذهبية ، أو الانتماء الى فرقة مـا ، بديـلاً عن التآخي في الله ، فـإن هؤلاء ليسـوا من جمـاعـة المؤمنين ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس منهم ، لأنهم خالفوا دعوة الوحدة التي جاء بها ، وهذا الحكم قد أتى في قول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾[2] .

إنّ رسالة الإسلام الجهادية العاملة من أجل الانسان تتطلب من المؤمنين أن يكـونوا في حـالة تـأهب واستعداد ، مـوحدي الصفّ والهـدف لكي يحقّقوا غـاياتهم في نشـر العزّة والتقـدم ، والسـلام والهدى ، وبكلمة لكي يبنوا حضارة انسانية عمادها الإيمان .

---

(١) سورة المؤمنون ، آية ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٥٩ .

انه من واجب المؤمنين ان ينهضوا بـواجباتهم الجهـادية في مختلف المعارك التي يخوضونها ، موحدي الكلمة والصف ، وأن يكونوا في عملهم خاصة في زمن اليقظة هذا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً ، وأن لا يقعوا في شباك عدوّ الله وعدوّهم الذي يكيد لهم للايقاع بينهم ، ونقل المعركة الى صفوفهم ليتمكن منهم . ان الاقتتال والتناحر مضيعة للطاقات ، وطريق للفشل ، ولذلك نهى الله تعالى المؤمنين عن التنازع في قوله تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾(١) .

جـ ـ دعاة الفرقة يخدمون الأعداء :

ينـظر المرء حـوله متفحصـاً واقع الأمـور في العالـم العـربي والاسلامي ، فيؤلمه هذا الانشقاق ، وتلك المعارك الوهميـة التي يصنعها الصهاينة والصليبيون والشعوبيون ، ويخوضها الجهلة الذين أقنعوا أنفسهم بأنواع من العصبيات ، يصح القول إنها جاهلية ثانية فيها تراجع عن الالتزام بـأمر الله ، ورسـالة نبيّـه ، وسلوك السلف الصالح .

وإذا أراد إنسـان أن يعرف خـطورة هذه العصبيـات الحزبيـة والمذهبية والإقليمية ، فإننا نذكر له على سبيل المثال ، ما جاء في البر وتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون ، حيث يقولون : « وضعنا كل القوى : كل واحدة منها ضد غيرها ، . . . . وقد شجعنا كـل مشروع في هـذا الاتجـاه ، ووضعنـا أسلحـة في أيـدي كـل

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٤٦ .

الأحزاب ، وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة ، وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبيـة بلا ضـوابط ولا التزامـات . وسرعان ما ستنطلق الفوضى وسيظهر الافلاس في كل مكان »[١] .

هذا التخطيط الصهيوني في البروتوكولات قديم جديد ، وغير مختلف عنه التخطيط الشعوبي الذي قام به جماعات فيهم بقايا من عقائد ومفاهيم قضى عليها الاسلام ، فوجدوا سبيلهم في التستر بالاسلام ، والابقاء على معتقداتهم أو بعضها ، والعمل من خلال ذلك لتقسيم الصف الإسلامي ، والاسلوب نفسه إعتمدته محاولات الغزو الأوروبي والامريكي والصليبي .

ولذلك يجب أن يعرف كل من تستهويه الحزبيات الضيّقة ، أو من يفترض . في التعصب لمذهب إسلامي معين مع معاداة المنتمين لمـذاهب أخرى ، يجب أن يعلم هؤلاء بـأن الاسـلام يجمـع ولا يفـرّق ، ويحض على الإجتهاد ويـرفض العصبية لأنهـا ظلمـات ، وخادمة لأهداف الصهيونية والصليبية الحديثة ، والشعوبية المتجددة التي ترى في الاسلام عقبة كأداء في طريق تنفيذ ما ترمي إليه .

ان النظرة الفاحصة للواقع العربي والإسلامي تظهر فعـلاً أن الفوضى السائدة ، والجري وراء أهداف وهمية ، وتضييـع الهدف الرئيسي ، يزرع الإفـلاس في كل مكـان ، ويحمل الانسـان على القـول : إن كل العـاملين على نشر التفـرقـة والعصبيـة المـذهبيـة والـطائفيـة ، هم ومـا يقـومـون بـه وقف على الصهيـونيـة

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ٦ ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ١١٥ .

والاستعمار . وتأسيساً على ذلك شاع الهوان ، وقلّ عدد تلامذة مدرسة الجهادية ، والعمل للمواجهة من خلال الجماعة ، فحلّت السلبية ، وتمكّن التخاذل من العديد ممّن تربّوا في غير مدرسة التوحيد والوحدة التي أسّسها الإسلام .

الملاحظ انه ، ومع اليقظة التي يجب ان تواكبها الوحدة ، قد عمل بعض المرتزقة على زرع الفرقة ، فبتنا نرى نتيجة ذلك أنه قد « تفرّقت كلمتنا شرقاً وغرباً ، وكاد يتقطع ما بيننا ، لا يحنّ أخ لأخيه ، ولا يهتم جار بشأن جاره ، ولا نحترم شعائر ديننا ، ولا ندافع عن حوزته ، ولا نعزّزه بما نبذل من أموالنا وأرواحنا »[١] .

إن التبعية لهذا المعسكر أو ذاك ، مع تعطيل نظام التآخي في الله الذي طبّقه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أول مجتمع ودولة أقامهما في المدينة المنوّرة ، هما من المعاول الخطيرة التي تقوّض البنيان الحضاري العربي ـ الاسلامي .

من هنا نصل إلى القول : بأن هذه التبعية هي بعيدة عن حكم الإسلام ، لأن للعرب والمسلمين مع الإسلام رسالة ودوراً تحضيرياً ، ومنقذاً للبشرية جمعاء ، وبذلك لا يكون من الإسلام بشيء أن نعطل الدور ، وألا نقوم بالرسالة ، وبعد كل هذا نرهن أنفسنا الى هذا المعسكر او ذاك ، مع العلم أن الجميع يكيدون لنا ، ولا يختلفون في الهدف الذي هو القضاء على الوجود والدور الانساني للعرب والمسلمين من خلال الإسلام .

---

(١) عبده ، الإمام محمد ، دروس من القرآن ، بيروت ، دار احياء العلوم ، ط ٢ ، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ١٥٩ .

إن اختلاف الأعداء هو في الاسلوب ، ولهذا تراهم يتسابقون دوماً على تدمير وجودنا الحضاري الانساني ، ونهب ثرواتنا وامكاناتنا ، ومع ذلك ترى من الجهلة من يطلب النجاة من العاملين على ضربه ، فيلتزم بفكرهم السياسي ، ويعادي أقرب الناس اليه ارضاء لهم ، وفي هذا العمل خروج عن الاسلام ، ليس له ما يسوّغه .

د ـ نداء من أجل تحقيق النصر :

مع مطلع اليقظة الدينية اليوم نقول لمن يهمه تحقيق النصر وإعادة الدور الحضاري للعرب والمسلمين؛ بأن الانتصار وتجدّد الدور لن يكون بالاعتماد على من يعمل للسيطرة علينا ، ولا بالتحالف مع العدوّ ضدّ الأخ والصديق ، وضد النفس أحياناً .

والانتصار لن يكون بالتعصب المذهبي ، والتقوقع ضمن نظريات ومفاهيم مستوردة خصيصاً للتآمر على العرب والمسلمين في معركة الصراع الحضاري . والانتصار لن يكون بإحلال الانتماء المذهبي أو الشعوبي بديلاً عن الإسلام .

الانتصار يكون بفهم المذاهب على أنها اجتهاد واستنباط للأحكام الفرعية استناداً إلى الأصول ، وانها عمل جليل ، وتراث قيّم يجب درسه والاستفادة منه للتطوير والتيسير والتبشير ، وليس التعصب لواحد من المذاهب لكي يقود ذلك إلى التأخير والتعسير والتنفير .

فلا بدّ من ترك الفرقة جانباً لأنها نقيض لحكم الشرع ، ولا بد من ترك التبعية للأجنبي فهي سبب الاقتتال والتنازع بين الأخوة .

بـالوحـدة والجمـاعـة في عصـر اليقـظة هـذا يمكن للعـرب وللمسلمين أن يتحرّروا وينهضوا ، لكي يستعيدوا دورهم التاريخي حضارياً في إنقاذ البشرية ، وأنفسِهِم ، من الخوف الذي يعيشه كل انسان بسبب الرؤوس النووية المتوزعة في كل بقعة من العالم ، ومن أجل النجاة من هيمنة الغرب والشرق القائمة على القيم الماديـة ، ونظرية القوة ، وبهذا يتحقق الدور المنوط بنا مرة ثـانية في القـرن الخامس عشر الهجري ، قرن اليقظة الدينية ، الدور الذي حدّده ربّ العالمين في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنـاكم أمة وسـطاً لتكونـوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٤٣ .

الاجتهاد ضرورة شرعية

أ ـ المصطلح والضرورة :

الاجتهاد هو بذل الوسع والطاقة في طلب الأمر ، وبذل الجهد في استنباط حكم لقضية طارئة لا يوجد نص صريح يعتمد كحكم فيها .

والاجتهاد له دور المرشد المبيّن لأدلة الكثير من الأحكام ، والوسيلة المساعدة على الإحاطة بالعديد من مقاصد الشريعة ، وموجبات الأحكام ، والغرض من الأوامر والنواهي .

يضاف إلى ذلك أن الأيام في تقلّب وتبدّل ، والأمور الحادثة كثيرة ، ووفقاً لهذا القانون ، يكون من البديهي أن تعرض للمسلمين شؤون جديدة مع تعاقب الأيام وتطور أنماط الحياة المجتمعية ، لا بد من معرفة أحكامها ، للتعامل معها بما يلائم الالتزام بالضوابط الشرعية ، والتبدّل في هيئة الوضع المجتمعي . وفي هذه الحالة يصبح لزاماً على المسلم ، إذا لم يجد الحكم في الكتاب أو السنة ، أو في تراث السلف الصالح من المجتهدين المعترف بسبقهم وفضلهم ، أن ينظر ويبحث مستلهماً روح الشريعة ، معتمداً ثوابتها

وأصولها التي لا مبدّل لها إلا الله مشرّعها ومنزّلها ، متوخياً ما تهدف إليه الشريعة من خير للانسان فرداً أو جماعة .

إن ما قلناه ليس بدعة ، أو أمراً حادثاً ، بل مستمداً من السنة النبوية ، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حينما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه أميراً على اليمن ، قال له :

إذا عرضت لك قضية ، بم تقضي يا معاذ ؟
قال معاذ : بما في كتاب الله .
قال : فإن لم تجد في كتاب الله ؟
قال : أقضي بما قضى به رسول الله .
قال : فإن لم تجد فيما قضى به رسول الله ؟
قال : أجتهد برأيي .

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم عندها : الحمد للّه الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله .

الإسلام ، قرآناً وسنة ، هو شريعة الله المبعوث بها محمد صلى الله عليه وسلم رحمة وهدى للعالمين ، وهي ليست شريعة خاصة لشعب معين ، أو لمكان محدّد ، أو زمان ما دون غيره ، وإنما هي الشريعة التي تتجاوز بأحكامها الزمان والمكان والأفراد ، لتكون لكل البشر ولكل زمان وكل مكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولهذا جاءت الأحكام الأصولية على شكل ثوابت وكليات تحدّد المسار للتشريع في الجزئيات ، وتشكّل المرتكزات التي يستند لها أي واضع للأحكام الفرعية والجزئية ، ونعطي على سبيل المثال

مسألة الشورى وضرورتها في كل مسألة تعرض لجماعةٍ ما .

إن الشورى على أهميتها لم تحدّد كيفية تطبيقها تفصيلياً في القرآن الكريم ، أو في السنّة الشريفة ، بل أتى النص القرآني يحض عليها ، ويأمر باعتمادها والتزامها ، وتركت كيفية التطبيق للحاكم المجتهد الذي سيراعي فيها أحكام المجتمع وأوضاعه ، ومقتضيات المكان وتواصله ، وخصائص العصر وسماته .

وكذلك الأمر في أغلب الأحكام التي تتعلق بالسياسة وبالمعاملات عموماً ، إلا ما يعالج موضوع الأسرة والمواريث ، والزكاة ومصارفها ، فإن في القرآن والسنّة كثيراً من التفصيل فيها لأهميتها ، ولخطورة تركها غير محددة بكلياتها وجزئياتها .

على أي حال يبقى من المهم أن نعلم بأن ترك الفروع والجزئيات ، وأمر معالجة المستجدات للمجتهدين يستنبطون لها الأحكام بالقياس ، أو الإجماع ، أو الرأي ، أو اعتماد مبدأ المصالح المرسلة ، شرط عدم مخالفة الثوابت والأصول ، أو تجاوز الضوابط الشرعية ، دليل على أن الإسلام هو مدد تشريعي في كل آن ومكان ، وعلى أنه يجب ، وبواسطة الاجتهاد ، أن نعتمد طريق فهم الانسان والعصر على ضوء الاسلام .

وإذا كنا اليوم على أبواب يقظة دينية تظهر معالمها في غير مكان ومجتمع ، فإن ظروف إنسان القرن الخامس عشر الهجري ، وواقع العلاقات الدولية ، وسمات التقدم التقني ، تطرح على المسلم تحديات لا بدَّ من إيجاد الإجابة الصحيحة لها ، وهذا ما يفرض على العلماء مسؤوليات جسام بأن يحسنوا تشريح المشكلات ، ومعرفة

التحديات لطرح الحلول دون مغالاة أو انحراف ، بل بطرح الحلول بشكل متوازن دون الخروج عن الحدود والضوابط التي تفرضها الشريعة .

نخلص مما تقدّم الى القول : إن « الاجتهاد في الإسلام هو الدليل القوي على قابلية أحكام هذا الدين العظيم لمواجهة كل التغيرات والاختلافات والوقائع ، وهو الدليل كذلك على شمولية شريعة الإسلام ومرونتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان . ففي ظلّ الأصول الثابتة والأحكام الكليّة تسير حركة الاجتهاد في الإسلام ملبية كل الاحتياجات ، مستجيبة لكل المواجهات التي تفرضها طبيعة التطوّر والتغيّر ، مستوعبة لكلّ ذلك في إطار القرآن والسنّة »[1] .

ب ـ القرآن والسنّة يحضّان على الاجتهاد :

إذا كان الاجتهاد ضرورة لاستنباط الأحكام لما يعرض من القضايا ، خاصة فيما سكت عنه الشرع ، أو أعطى فيه القاعدة كلية عامة دون تفصيل ، فإن القرآن الكريم حضّ على عملية الاستنباط والاجتهاد ، وعدّها من مهمات الراسخين في العلم ، خاصة وأنه كما سلف الحديث عن أن بعض الأحكام في الحادث من الأمور ، وفي تنظيم العلاقات بين المخلوقات لا تعرف بالنص .

واستنباط الراسخين في العلم للأحكام يكون من خلال معارفهم واختصاصهم ، دون أن يتكلم واحدهم فيما لا علم له فيه ،

---

(١) العمري ، د . نادية شريف ، الاجتهاد في الإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص ١٩٧ .

ومع ذلك ينهي كلامه بالقول : والله أعلم . وهذا ما جاءت به الآية الكريمة : ﴿ ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلّا قليلاً ﴾[1] .

إنّ تلمّس فهم لطائف هذه الآية الكريمة يوضح لنا أهمية العالم المجتهد المستنبط للأحكام التزاماً بثوابت التشريع المنزل ، وأن الاستنباط من قبل المجتهد القادر على ذلك هو رحمة من الله ، تعصم أبناء المجتمع من الضلال ، وإغواء الشيطان ، لأن تبيين الأحكام بوجهها الأكثر سلامة وصحة يشكّل إضافة إلى القرآن والسنّة عنصراً هاماً في الهداية والارشاد ، ولهذا عدّ الرسول صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء » .

بعد القرآن الكريم ، حضّت السنّة النبويّة على الاجتهاد لما في ذلك من خير للمجتمع ، وكان الوعد بالأجر والثواب للمجتهد حتى ولو لم يوفّق في الوصول إلى الحقيقة . فلقد جاء في الحديث الشريف : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[2] .

تأسيساً على حكم القرآن ، والسنّة في الحضّ على إعمال العقل في فهم الشريعة وأسس العقيدة ، واستنباط الأحكام عن الأصول المبيّنة ، شجّع السلف الصالح أيضاً على ضرورة الاجتهاد وأهميته . ولنقرأ في ذلك ما رواه النسائي في سننه :

---

(١) سورة النساء ، آية ٨٣ .

(٢) رواه البخاري وأبو داود ومسلم .

« أخبرني محمد بن علي بن ميمون ، قال : حدّثنا الفرياتي ، قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله بن مسعود قال :

أتى علينا حين ولسنا نقضي ولسنا هنالك ، وأن الله عزّ وجلّ قدّر أن بلغنا ما ترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقضِ فيه بما في كتاب الله ، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله فليقضِ بما قضى به نبيه ، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقضِ به نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه ولا يقول إنّي أخاف وإنّي لا أخاف فإن الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبين ذلك أمور متشابهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك »[١] .

إن في كلام عبد الله بن مسعود طلباً من المسلمين ، وخاصة الحكّام والعلماء ، أن يشجّعوا الاجتهاد وإعمال الرأي ، وألّا يخافوه ، لأنّ في ذلك مرونة ومواكبة لكل أمر طارىء ، وحفاظاً على خطّ التقدّم والتّطوّر في تنظيم المجتمع ، وحركة البناء فيه .

جـ ـ الاجتهاد فرض وضرورة :

إن الاجتهاد يشكّل تراثاً زاخراً ، كلّ من تعمّق فيه ظفر بكسب وصيد ، ولا بدّ من استمرار العمل به لضرورة شرعية واجتماعية

---

(١) النسائي ، السنن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، الجزء الثامن ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

تطويرية ، وهذا النهج لم يخرج عنه أيّ مريد لمصلحة المسلمين ، ملتزم بالإسلام ، وهو منهج وديدن كل عالم متفكّر .

ومن الوقائع المؤكّدة لما ذهبنا إليه ما فعله الفاروق عمر رضي الله عنه عندما ولّى شريحاً قضاء الكوفة حيث قال له :

« انظر ما يتبيّن لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، وما لم يتبيّن لك فاتبع فيه سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما لم يتبيّن لك في السنّة فاجتهد فيه برأيك » .

إن ما تقدّم الحديث عنه يوصلنا الى الاستنتاج الذي يحملنا على القول : إن الاجتهاد ليس مزاجاً أو هوى شخصياً ، وإنّما حركة علمية بنّاءة تمليها ضرورات الشريعة ، ومصلحة الانسان ، وتقلّب الأزمان ، وتعدّد الأمكنة. لأن الإسلام وهو خاتم الرسالات السماوية التي لها الحاكمية الى أن يشاء الله تعالى غير ذلك ، كان من خصائصه ، كما أسلفنا القول ، الإتيان بالثوابت والقواعد الكلية في الأحكام ، لأن ذلك يحفظ للرسالة ودورها الحيوية ، والقابلية لتغطية حاجة الانسان للأحكام في كل وقت ، وأمام كل حدث اعتماداً على الاجتهاد ، وعلى تنوّع الفهم بين المجتهدين والمؤدّي الى الغرض نفسه ، أو على الأقل السّاعي إليها بإخلاص النيّة للّه تعالى .

ولهذا يعدّ الاجتهاد من أهم عناصر بناء الحضارة العربية ـ الاسلامية المتجدّدة مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، وبوادر اليقظة الدينية ، وما ذلك إلا لأن الاجتهاد وسيلة من وسائل « التعرّف على الأحكام الشرعية لما يجدّ من حوادث وقضايا دائمة الطروء على

الحياة ممّا يرعى خاصيّة ختم الشرائع بالشريعة الغرّاء »[1] .

إن فهم الاجتهاد بهذه الطريقة يرينا أهميته وإلزاميته الشّرعية للحاكم والعالم ، إذ لولاه لتاهت مصادر الأحكام وتعدّدت ، ولراح المسلم يبحث عن أحكـام الحـوادث والمستجـدات التي لم يـر حكمها ، أو يجده مفصلاً في القرآن والسنّة ، هنا وهناك ، ويصطاده من هذه الشريعة الوضعية أو تلك ، وفي هذا ثمة انحسار لحاكمية الاسلام في كل الأمور .

لـذلك كـان الاجتهاد ، ومـا زال ، وسيبقى تـأكيـداً على أن الإسلام نظام شامل يستوعب كل أنواع العلاقات والنظم والأحكام . وأنه الشريعة الخالدة المعطية حكماً في كل جديد وحادث بواسطة الاجتهـاد ، وهنا نخلص الى القـول : إنّه في وقف الاجتهـاد ، أو التضييق على المجتهدين ، ومحاربـة المجدّدين ثمّـة مؤامرة على الاسلام والمسلمين .

هذه النتيجة التي وصلنا إليها سبقنا إليها فقهاء وأصوليـون ، فهموا وبوضوح أن الاجتهاد فرض كباقي فرائض الإسلام ، وقـالوا بشكل صريح : أن « الاجتهاد من فروض الكفايـات لا من فروض الأعيان ، إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصّر فيه أهل عصر عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم . . . فلا بدّ اذن من مجتهد »[2] .

---

(١) العمري ، د . نادية شريف ، م . س ، ص ٢٦٠ .

(٢) الشهرستاني ، الملل والنّحل ، جـ ١ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، ص ٢٠٥ .

فالاجتهاد بهذا الفهم فرض لا بدّ من أن تحصّله جماعة لتكفيه الكلّ ، وإذا لم يحصّله أحد فالإثم لاحق الجميع ، العالم قبل الجاهل ، لأنّه مكلف أن يعمل ويفيد بعلمه ، وهنا يجب أن نعلم بأن الاجتهاد ليس مختصاً بمسائل الفقه والعبادات فحسب ، بل هو بذل الوسع والطاقة في الوصول إلى كل معرفة تفيد في تطوير المجتمع ، وتحسين وضع الانسان المستخلف في الأرض .

وبالتالي فلا بأس أن يكون الاجتهاد متخصصاً لتتكامل فيه الجهود من أجل الخير العام ، وحتى تعدّد الاجتهاد والرأي في المسألة الواحدة هو تنوّع في الفهم ، وفي السبل يغني ، ويعدّد الخيارات ، وبذلك يجد كل طالب مبتغاه ومشربه في رحاب الشريعة السمحاء التي لا يأتيها الباطل ، ولا يعتريها النقص .

د ـ مفهوم الاجتهاد وشروطه :

إذا كانت الحركة الاجتهادية تنطلق استناداً الى القرآن ، والسنّة ومأثور السلف الصالح، بغرض التيسير، واستنباط الأحكام، وإيجاد الحلول ، لكن من المهم أن نعرف بأنّه ليس كل كلام اجتهاداً ، وليس كل من كتب أو أعطى رأياً مجتهداً ، فكثيراً ما تقال كلمة حقّ يراد بها باطل ، ولذلك فمن مستلزمات الاجتهاد وشروطه ؛ أن يكون المجتهد مؤمناً صحيح الإيمان والالتزام ، وأن تتوفر فيه الشروط التالية :

« ١ ـ **معرفة قدر صالح من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات** العرب ، والتمييز بين الألفاظ الوضعية والاستعارية ، والنص ، والظاهر ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيّد ، والمجمل

والمفصّل ، وفحوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدلّ على مفهومه بالمطابقة ، ويدلّ بالتّضمن ، وما يدلّ بالاستتباع .

٢ ـ **معرفة تفسير القرآن** ، خصوصاً ما يتعلق بالأحكام ، وما ورد من الأخبار في معاني الآيات ، وما رؤي من الصحابة والتابعين . . . ولو جهل تفسير سائر الآيات التي تتعلق بالمواعظ والقصص ، قيل لم يضرّه ذلك في الاجتهاد .

٣ ـ **معرفة الأخبار** بمتونها وأسانيدها ، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة : عدولها وثقاتها ، ومطعونها ومردودها . . .

٤ ـ **معرفة مواقع إجماع الصحابة** والتابعين وتابعي التابعين من السلف الصالحين ، حتى لا يقع اجتهاده في مخالفة الإجماع .

٥ ـ **ثم التهدّي الى مواضع الأقيسة** وكيفية النظر والتردّد فيها ، من طلب أصل أولاً ، ثم طلب معنى مخيّل يستنبط منه ، أو شبه يغلب على الظّنّ فيلحق الحكم به »(١) .

أريد أن أنبّه هنا إلى حقيقة هامة حول موضوع الإجتهاد هي : أنه على أهمية هذا الأمر ، وحتى لو توفّرت كثير من الشروط في المجتهد ، فإنّه في مراحل شتّى ، خاصة في عصور الظلام والركود تستغلّ أحسن الاجتهادات والأفكار والآراء لغير الغرض الذي وجدت من أجله ، فتحيّد عن هدفها الأصيل ، علماً أن الاجتهادات التي كانت ثمرة تفاعل أحكام الشّرع مع الحياة ، هي رخص في العبادات ، وتطوير لصيغ وقوانين المعاملات ، قد جمّدت في

---

(١) الشهرستاني ، م . س ، ص ٢٠٠ .

قـوالب ، وأخذ بعضهم يستغلهـا للتفرقـة والانقسام كـوسيلة سهلة الاستعمال لتحقيق سياسة : فرق تسد .

ولذلك يكون من واجب المسلمين، خاصة في زماننا هذا ، حيث تكثر المؤامرات لتفـرقة المسلمين على أسـاس عصبي ، أن يطرحوا « جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متّبعـوها تقليـداً ، فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها، وأن نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنّة وثابت الاجماع ، وذلك لكي لا نتفرّق في الآراء ، وليكون ما نقرّره مقبولاً عند جميع أهل القبلة »[١] .

انه من المفيد أن نعلم بأن الاجتهاد رحمة لبني البشر ولذلك كان الأجر لكل من عمل في ميدانه خالص النيّة للّه تعـالى . وهنا يجب أن نفهم بأن المجتهد إذا أخطأ ليس مأجوراً على خطئه ، بل على بذله الجهد والطاقـة طلباً للحقّ ، وهـذا ما يمكن معـرفته من تلمس معنى الآية الكريمة : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾[٢] .

نصل من ذلك الى الاستنتاج بأن كل الفقهاء والمجتهدين كانوا يسعون في طلب الحقّ ولكن بغالب الظّنّ ، وليس بحكم قطعي ، لأن الحكم القطعي الدلالة هو فقط ما نص عليه القرآن الكريم ، أو ما كان سنّة نبويّة مؤكّدة منقولة بالتواتر ، ويليهما إلى حدّ ما ، ما حاز على إجمـاع الأمة من الأحكـام ، أما الاجتهـاد فهو سعي للحقّ ،

---

(١) الكواكبي ، عبد الرحمن ، أم القرى ، بيروت ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بدون تاريخ ، ص ٣٨ .
(٢) سورة الأحزاب ، آية ٥ .

وطلب للمزيد من سلامة الحكم ، لأن الأحكام المجتهد فيها تحتمل الخطأ والصواب .

لهذا السبب كان المجتهدون وما يزالون ينهون كلامهم بقول : والله أعلم . مما يعني أن تعدّد الاجتهاد ليس ناتجاً عن اختلاف عقيدي ، أو تناقض في الالتزام بالأصول والثوابت ، وإنما تعدّد سبل وتنوّع في الفهم . وهذا ما ذهب إليه « ابن تيمية » في تفسيره اختلاف الاجتهاد ، بأنّه تنوّع لسببين :

« ١ ـ **أحدهما** أن يعبّر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدلّ على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى . كما قيل في السيف : الصارم والمهنّد . . .

٢ ـ **الصنف الثاني** أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل ، وتنبيه المستمع على النّوع لا على سبيل الحدّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه »[١] .

هـ ـ وحدة العقيدة وتعدّد المذاهب :

إن الاجتهاد وتنوّعه أمر يكون في الفروع ، وفي المسائل المسكوت عنها ، أما الأركان والأصول فلا مجال لمجرد النقاش فيها ، فهي أركان لا يصح اسلام المرء دون الالتزام بها ، وهذا يقود الى القول بأن العقيدة واحدة ، والمسألة فيها لا تقبل التنازع ، ولذلك لا يجوز أن نجعل من المذهب الفقهي أو الاجتهاد بديلاً عن

(١) ابن تيمية ، الشيخ تقي الدين أحمد ، مقدمة في أصول التفسير ، بيروت ، مكتبة الحياة ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١١ و ص ١٤ .

الإسلام . وبهذا الفهم يصبح الاجتهاد الذي هو ضرورة مفيداً شرط أن يكون في المجال الممكن أن يكون ليس إلاّ .

أما العقيدة وأركانها التي حددها الاسلام ، فلم يتنازع حولها أي مسلم مع آخر على امتداد التاريخ الاسلامي . وهذه الأركان والأسس العقيدية حدّدها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه :

« جاء جبريل عليه السلام على صورة اعرابي وجلس حتى ألصق ركبته بركبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

ـ يا رسول الله ما الاسلام ؟

فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : صدقت . ثم قال : ما الإيمان ؟

قال صلى الله عليه وسلّم : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه .

قال : صدقت . ثم قال : ما الإحسان ؟

قال عليه الصلاة والسلام : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : صدقت . ثم قال : متى الساعة ؟

قال عليه الصلاة والسلام : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

ثم قام وخرج .

فقال النبي صلى الله عليه وسلّم : هذا جبريل جاءكم يعلّمكم أمر دينكم »[1] .

يوضح هذا الحديث الشريف أسس العقيدة التي لم يختلف فيها إثنان من المسلمين ، ولذلك نرى أن الاختلاف المستَغَلّ من قبل بعضهم لأغراض غير اسلامية ليس له أصل في الإسلام ولا عند مجتهدي المسلمين .

ان اختلاف المجتهدين لم يكن في الأركان أو الأصول العامة المحددة في الحديث الشريف السالف ذكره ، حيث أنه لم يكن ثمة اختلاف بين المسلمين حول وحدانية الله ، أو الاقرار والايمان بأن محمداً رسول الله والاعتراف بالرسل والأنبياء جميعاً ، ولا في أن القرآن الكريم وحي منزل من الله تعالى على النبي محمد صلى الله عليه وسلّم ، وأنه معجزة النبي الكبرى . كما أنّ المسلمين لم يختلفوا في الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، ولا اختلفوا بأمرٍ عُلِمَ من الدين بالضرورة كتحريم الخمر ، وأكل الميتة . . . الخ .

ولذلك فإن الاختلاف في المسائل الفقهية ، وتنوّع الاجتهادات لم يفرّق وحدة الصف ، ولا حمل المسلمين على أن يكون بأسهم بينهم شديداً ، والأصح أن الاختلاف الذي استُغِلّ لشقّ الصفوف ، واستبدال وحدة الأمة بالفرقة والتنازع ، انما كان اختلافاً وتنازعاً في شؤون الحكم والسياسة ، ولم يكن يوماً في أركان العقيدة

---

(١) نص الحديث وارد في : الشهرستاني ، الملل والنحل ، م . س ، ص ٤٠ .

وأسسها كما ذكرنا آنفاً .

قد يقول قائل : إن بعض الفرق قد اختلفت مع الجماعة في ما هو أكثر من الفروع ، فهؤلاء يقال فيهم : « إن المختلفين في العدل والتوحيد والقدر والاستطاعة وفي الرؤية والصفات والتعديل والتجوير وفي شروط النبوة والإمامة يكفّر بعضهم بعضاً . فصح تأويل الحديث المروي في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة الى هذا النوع من الاختلاف ، دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام ، وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع »[1] .

إن اختلاف الفرق الاسلامية ، إذن ، لا يكون حول مسائل أصولية ، وأسس عقيدية ، وكل من شكّ في أصل أو فريضة أو ركن ، إسلامه فيه شك . لأنه حتى مسألة الإمامة وكيفية اختيار الحاكم والإمام التي تعددت حولها الآراء ، من قائل بالنص والتعيين ، الى قائل بالبيعة والاختيار ، لم يحصل فيها الخلاف حول الشروط الواجب توافرها فيه ؛ كالعلم ، والعدالة ، والسياسة ، والذكورة ، والبلوغ ، وأن يكون غير مرتكب لكبيرة ولا مصرّ على صغيرة . . . الخ .

إن الإسلام يجمع في رحابه كلّ « المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه وقدمه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته ، ونفي التشبيه عنه ، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته الى الكافة ،

---

(١) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، ص ١١ .

وبتأييد شريعته ، وبأن كل ما جاء به حقّ ، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة اليها ، فكل من أقر بذلك كلّه ولم يُشِبْه ببدعة تؤدي الى الكفـر »[1] . هو المسلم الحق السليم الايمان .

للاسلام أصول وأسس عقيدية واضحة جلية محددة ، لا تقبل التأويل والتفسير ولا الاختلاف ، والأمـور التي فتح بـاب الاجتهاد لها ، ليس المطلوب أن تكون مدعاة للتناقض والتنابذ ، طـالما أن العقيدة واحدة ، وبما أن سبل الاجتهاد المتعدّدة تستند الى أصول وثوابت واحدة ، وتسعى طلباً لغاية واحدة هي مرضاة الله تعالى وخير عباده ، لأن أحب الناس إلى الله تعالى ، أنفعهم لعياله ، والخلق كلهم عيال الله .

وإذا كان بعض المغرضين يأخذون من تعدّد الاجتهادات حجّة لزرع الفرقة والانقسام ، فهذا ممّا لا يرضي الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا ينسجم مع أسس العقيدة القائمة على التوحيـد والوحدة .

ليس هذا فحسب ، بل يتنافى مثل هذا العمل كذلك مع سنة السلف الصالح ، ومع سلوك المجتهدين أنفسهم بشكل أخص ، لأنه كان من المتوقع « أمام التسامح الذي هبّت نسماته واستولت روحه في الدور الماضي ألا يكون لاختلاف المذاهب أثر في كراهة أصحاب المذاهب المختلفة بعضهم لبعض ، فقد كان يوجد في البلد الواحد

---

(١) البغدادي ، م . س ، ص ١٣ .

مجتهدان فأكثر كل يسوّغ لصاحبه الاجتهاد ولا يعيبه عليه ، وأكثر ما عُهِدَ منهم أن يقول أحدهم بخطأ الآخر في مسألة من المسائل ، وقد يكاتبه فيما ينتقده عليه أو يشافهه فيه مع احترام كلّ منهم للآخر بل حبّه له وثنائه عليه »[1] .

نخلص الى القول : إن الاجتهاد ضرورة ، وهو تنوّع سبل في فهم واستنباط الأحكام من أسس واحدة ، وطلباً للحقّ ، والمجتهدون تتكامل أدوارهم وأعمالهم يحترم بعضهم بعضاً . الاجتهاد تراث ضروري في معركة الحضارة ، ونحن على أبواب اليقظة الدينية ، ولكن المطلوب أن لا يخرج فرد أو جماعة عن الالتزام بقول الله تعالى : ﴿ إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص ﴾[2] .

---

(١) الخضري ، الشيخ محمد ، تاريخ التشريع الاسلامي ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٧ ، سنة ١٩٦٠م ،ص٣٤٣ .

(٢) سورة الصف ، آية ٤ .

وحدة المسلمين وتعدّد المذاهب

أ ـ تعدد المذاهب لا يناقض وحدة العقيدة :

بات من غير المختلف فيه عند أحد ، وعلى امتداد التاريخ الاسلامي ، أنه لم يكن سبب الاختلاف بين المذاهب والمجتهدين موضوع الايمان والاسلام بأركانهما وأصولهما ، وإنما ما تناقش المسلمون فيه ، أو اختلفت آراؤ هم حوله هو الجزئيات والفروع .

وإذا كان الاختلاف ليس على أركان العقيدة وأسسها ، فإن تعدّد المذاهب وتنوع الاجتهادات غير مضر ، وليس المطلوب الغاء مذهبٍ أو مذاهب ، بل يجب الاستفادة منها ، فهي تراث غنيّ في الدراسات الاسلامية التي تتناول مختلف المجالات : السياسية ـ الاقتصادية ـ الكلامية ـ الفلسفية . . . الخ .

ان المطلوب في هذه الحقبة ، حقبة اليقظة الدينية التي سيكون للمسلمين فيها الدور الانقاذي على الصعيد العالمي ، أن يخرج بعض قصيري النظر من أطر التعصب للمذهبية الضيقة الى رحاب الاسلام ، والايمان بما لا يتعارض مع الشريعة السمحاء .

يفرض هذا الأمر على كل مسلم أن لا ينتصر لمذهب بشكل

تعصبي ، ينطلق من خلاله الى تسفيه الاجتهادات والمذاهب الأخرى . لأن هذا أمر خطير يدلّ على قصر نظر مؤداه أن مثل هؤلاء يعدّون المذهب بديلاً عن الاسلام ، مع أن المذهب اجتهاد في الفروع ، ولا يمكن ـ ومعاذ الله ـ أن يكون بديلاً عن الأصول التشريعية في العبادات والمعاملات التي جاءت في القرآن الكريم وفي السنّة النبويّة الشريفة .

ب ـ الخلافة وتعدّد المذاهب :

اذا أردنا تمحيص الأمر بدقة نلاحظ بأنّه من المسائل الأساسية التي سببت الاختلافات المذهبية ، موضوع الخلافة والإمامة ، حيث قالت جماعة من المسلمين : إن الخلافة أو الإمامة أمر متروك للشورى بين المسلمين ، يختارون الرجل المناسب ، ويطلبون البيعة له ، فإن تمت فهو الخليفة .

وإن هذا الخليفة أو الامام يطاع ما أطاع الله ، وكان الأنفع لعياله ، وإلّا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وبالتالي إذا ما خالف الخليفة فتقويمه ضروري ، أو عزله ومنع البيعة عنه .

وبالمقابل قالت جماعة من المسلمين : إن الامامة والخلافة شأن لا دخل للبشر فيه ، فالإمام ضروري لاستكمال الدور الرسالي للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وارساله يجمعهم القول

بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة عن الكبائر والصغائر .

إذا تقدّمنا إلى حقبة تاريخية تلي مرحلة النقاش حول النص والاختيار في موضوع الإمامة ، نصل إلى المحطة التاريخية التي كانت قد شكلت منعطفاً سلبياً في التاريخ الاسلامي ، هذه المحطة بدأت عندما آلت الخلافة للإمام علي كرم الله وجهه الخليفة الراشدي الرابع والذي كانت له البيعة بعد حصار الخليفة عثمان رضي الله عنه في منزله ومقتله .

عند مبايعة الامام علي ، كرم الله وجهه ، تحركت نوازع الجاه والأثرة في بعض الناس ، فنووا مناوئة الإمام ، وكان أخطر أشكال المعارضة تلك التي قام بها والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي كان مؤيَّداً ببعض من استهوتهم زينة الحياة الدنيا ، واستمالتهم نزوات النفس الأمّارة بالسوء .

ولعله من المفيد في هذا المقام ، ولجلاء حقيقة الصراع الذي جرى بين أهل الدين وعشّاق الدنيا أن نذكر بايجاز قصة عمرو ابن العاص مع ابنيه وغلامه،عندما تشاور معهم في مسألة نقض البيعة والإجماع الحاصل حول خلافة الامام علي رضي الله عنه من قبل والي الشام معاوية ، ويذكر الدينوري ، أنه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين ، استشار ابنيه عبد الله ومحمداً ، . . . فقال عبد الله وهو الأكبر : أرى والله أن نبيّ الله قبض وهو عنك راضٍ ، والخليفتان من بعده كذلك ، وقتل عثمان وأنت غائب ، فأقم في منزلك ، فلست مجعولاً خليفة ، ولا تزيد

على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة ، أوشكتما أن تهلكا فتستويا فيها جميعاً .

وقال محمد : أرى أنك شيخ قريش ، وصاحب أمرها ، فإن ينصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل ، يصغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام ، واطلب بدم عثمان ، فانك به تستميل الى بني أميّة .

فقال عمرو : أما أنت يا عبد الله ، فأمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي .

ثم دعا غلاماً له يقال له وردان ، وكان داهياً ، فقال له عمرو : . . . هات يا وردان ، فقال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت مع علي الآخرة بلا دنيا ، ومع معاوية الدنيا بغير آخرة ، فأنت واقف بينهما .

فقال عمرو : ما أخطأت ما في نفسي .

وبعدها وقف ابن العاص مع الدنيا . ان هذا الحوار يحدّد لنا معطيات ما جرى من وقعة الجمل ، الى صفين ، الى كربلاء . . . الخ .

حيث كانت بعد حقبة غير بعيدة عن انطلاق رسالة الإسلام ، تلك الانتكاسة التي أعطت صورة عن واقع الحال في كل عصر ، ألا وهو الصراع بين أهل الدين وأهل الدنيا ، وبين دعاة الوحدة والعاملين للفرقة والانقسام .

نقف عند تلك المنعطفات التي كان فيها ثمة صراع بين

الروح القرآنية والروح الجاهلية ، لنقرّر بأن الشيعة لم يكونـوا أول الأمر فرقة دينية ، والامام علي كرم الله وجهه لم يدعُ الى مـذهب مستقـل ، وإنما الشيعـة بالأسـاس هم كل المسلمين الـذين أيّدوا الامام في الموقف السياسي . ولا عجب فهو صاحب البيعة ، وحائز الإجماع ، وهو الأحق بالخلافة .

ولكن المسلمين يـومها كـانوا متفـاوتين في درجـة تـأييـدهم للإمام ، مع إيمانهم جميعـاً أن معاويـة لم يكن ليتحرك طلبـاً للثأر للخليفة عثمان ، وأمر المقاضاة والحكم في الموضوع هو من حقّ الخليفـة المبايـع الامام علي ، وإنمـا فعل معـاوية مـا فعله مبتغيـاً الحؤول دون استقرار الأمور لخلافة الامام علي ، علّه يظفر بها .

ولذلك نرى أنه ليس الشيعة فقط هم الذين ناصروا الامام في حقِّه بالخلافة ، وإنما أهل السنّة والجماعة أيضاً « قـالوا : بـإمامـة عليّ في وقتـه ، وقـالـوا بتصـويب عليّ في حـروبـه بــالبصـرة ، وبصفين ، وبنهروان .

. . . وقالوا في صفين : إن الصواب كان مع علي رضي الله عنه ، وأن معاويـة وأصحابـه بغوا عليـه بتأويـل أخطأوا فيـه ، ولم يكفروا بخطئهم .

وقالوا : إن عليّاً أصاب في التحكيم ، غير أن الحكمين أخطآ في خلع عليّ من غير سبب أوجب خلعه ، وخـدع أحد الحكمين الآخر »(١) .

---

(١) البغدادي ، م . س ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

المسألة في تلك الآونة من الزمن إذن ليست خلافاً حول اجتهاد فقهي بين صاحب مذهب وآخر ، وإنما قضية سياسية كان الحق فيها مع الإمام عليّ . بعد الذي عرفناه ، والذي يمكننا أن نضيف له الحوار الذي دار بين مروان بن الحكم من جهة وطلحة والزبير الطامحين للخلافة من جهة أخرى ، حيث قال لهما مروان بن الحكم : « أيها الشيخان ، ما يمنعكما أن تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة علي ، فإن أجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته ، وإن لم يجيبوكما عرفتما ما لكما في أنفس الناس .

فقال طلحة : يمنعنا أن الناس بايعوا عليّاً بيعة عامة ، فبم ننقضها ؟ .

وقال الزبير : ويمنعنا أيضاً من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان ، وخفتنا الى بيعة علي »[1] .

ليس غريباً ألا يطلب طلحة والزبير البيعة ، التي تمت للامام علي وهو صاحب فضل وحقّ ، وابن بيت النبوّة ، الذي كان أكثر الصحابة معرفة بالقضاء ، وأصغر الأوائل الذين أسلموا ونصروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، رغم وقوف كبار قريش ضد الدعوة والرسالة . وهو صاحب السيف ذي الفقار ، وإمام البلغاء .

لأنه كذلك فإن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رغب في مصاهرته ، والمعروف أن الخليفة الفاروق خطب أم كلثوم بنت الامام علي كرم الله وجهه ، فقال له : انها تصغر عن ذلك .

---

(١) الدينوري : ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، تحقيق د. محمد طه الزيني ، جـ ١ ، بدون تاريخ ، ص ٥٧ .

فقال له الفاروق : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول : كل سبب ونسب متقـطع يـوم القيـامـة إلا سببي ونسبي ، فأحبّ أن يكون لي من رسول الله سبب ونسب ، فقال الامام علي للحسن والحسين سلام الله عليهم جميعاً : زوّجا عمكما يا بني ، فزوّجاه أختهما أم كلثوم .

والمعروف أن الإمام علي كرم الله وجهه لتقديره للخلفاء من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أسماء أولاده : عثمان الأكبر وعثمان الأصغر وعمر وأبو بكر. كما أن الامام كان ركناً هاماً في الدولة الإسلامية الأولى ، ولذلك كان القول المـأثور عن الخليفـة عمر : لولا عليّ لهلك عمر .

والمعروف أن الفاروق عندما سافر إلى الشام أثناء خلافته ، كـان قد استخلف الامـام علي على المدينـة ، وكان يستعين بـه ، ويرجع إليه في كثير من المسـائل ، وكذلك كان الحال مع عثمـان رضي الله عنه ، حيث استعان بالامام في كل الشدائد التي مرّ بها ، وآخرها عندما طـوّق بيته من قبـل الثائـرين عليه ، وكـان الامامـان الحسن والحسين من الـذين حـرسـوا بيتـه ، ودافعـوا عنـه لحـظة اقتحامه .

تأسيساً على ما تقدّم نستطيع القول : إن ما حصل عند نقض البيعة المجمع عليها للامام علي رضي الله عنه ، كان صراعـاً بين الـروح القرآنيـة التي أضفت على سلوك المؤمنين وقناعـاتهم لونـاً جـديداً من الإخـاء ونصرة الحقّ ، ومقـاومـة المنكـر ، وبين روح جاهلية عمادها العصبية ، والرغبة بالدنيا .

لـهذا نرى أن محمد بن أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكـر وعمار بن ياسـر وسعيد بن العـاص والمغيرة بن شعبـة . . . الخ . كلهم خرجوا مع الامام علي يحاربون من نقض اجماع الأمة .

مع كل ما تقدّم نرى الامام علي يحاول حقن دماء المسلمين فيرسل عبد الله بن جرير البجلي الى معاوية ، وسعيد بن العاص ، والمغيرة بن شعبة الى طلحة والزبيـر وعائشـة يحاوروهم، وكـذلك يحاول تهدئة من كانوا معه . حيث يـذكر أنـه قبل وقعـة الجمل ، « بينما الناس وقوف ، إذ رمي رجل من أصحاب علي ، فجيء به الى علي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا أخونـا قد قتـل ، فقال علي : اعذروا الى القوم .

فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : إلى متى ؟ قد والله أعذرنا وأعذرت إن كنت تريد الأعذار ، والله لتأذنن لنا في لقـاء القوم أو لننصـرفن . الى متى تستهدف نحـورنا للقتـال والسلاح ، يقتلوننـا رجلاً رجلاً ؟ »(١) .

بهذه الروح التي تعطي الفرصة للمخطىء للعودة عن خطئه ، وبروح الحفاظ على وحدة الجماعة وتماسكهـا ، وبروح الحـرص على كل نقطة دم تراق نتيجة هوى في نفوس بعض عشـاق الدنيـا ممن أبوا أن يرقفوا مشاعرهم ومفاهيمهم بهدي القرآن ، واجه الامام علي المعارضين لخلافته ، حتى نفد صبر من معه وكـان لا بد من وضع الحدّ للعابث المستهتر . ورغم ذلك نرى أن معـاملة السيدة

---

(١) الدينوري ، م . س ، ص ٧٣ .

عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة الجمل تؤكد لنا مجدّداً سمو الخلق عند الامام علي ومن معه .

بعد وقعة الجمل وانتصار الامام علي ومؤيديه أتى محمد بن أبي بكر ، « فدخل على أخته عائشة رضي الله عنها ، قال لها : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عليّ مع الحقّ ، والحقّ مع عليّ ؟ ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ، ثم دخل عليّ فسلّم وقال : يا صاحبة الهودج ، قد أمرك الله أن تقعدي في بيتك ، ثم خرجت تقاتلين . أترتحلين ؟ قالت : أرتحل .

فبعث معها عليّ رضي الله عنه أربعين امرأة ، وأمرهن أن يلبسن العمائم ، ويتقلدن السيوف ، وأن يكنّ من الذين يلينها ، ولا تطّلع على أنّهنّ نساء ، فجعلت عائشة تقول في الطريق : فعل الله في ابن أبي طالب وفعل ، بعث معي الرجال ، فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ، ودخلن عليها .

فقالت : جزى الله ابن أبي طالب الجنة »[1] .

جـ ـ وحدة المسلمين ـ ضرورة شرعية وسياسية :

اليوم ونحن نبعد قرابة أربعة عشر قرناً عن تلك الانتكاسة التي تحوّلت بعدها الخلافة ملكاً مقته الإسلام ، بتنا بأمس الحاجة لأن نتناول الجوانب المشرقة من التاريخ ، ونهمل ما يسيء للحاضر والمستقبل .

---

(١) الدينوري ، م . س ، ص ٧٣ .

وفي هـذه الحالـة يكون من واجبنـا أن نتوجـه إلى نصـوص القرآن وأحكامها وكأنها منزلة لحينها من السمـاء ، وأن نتعامـل مع الماضي بمضمون وحكم الآيـة الكريمـة : ﴿ يقولـون ربّنا اغفـر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمـان ، ولا تجعل في قلوبنـا غلاً للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم ﴾[1] .

من أجل عزّ الإسلام ، وتقدّم المسلمين ، لا بـدّ للمسلمين من وحدة الصّف في التعامل الدولي ، سيـاسة واقتصـاداً وثقافـة ، وفي كـل مجـالات الحضـارة ، ولا بـأس أن تتعـدّد مـذاهبهم في العبـادات ، وهـذه أمـور لا تضـرّ ولا تؤدّي الى انقسـام ، ففي المذاهب السنيّة ما فيها من تباين وجهات نـظر في هذا المجـال ، وكذلك المذاهب الشيعية وما فيها .

ولكن كل الاختلافات في الفروع ، والمهمّ أن نحدّد قواعد المواجهة الحضـارية التي بـدونها لن ينهض العـرب والمسلمون ، ويأتي في مقدمة هذه القواعد النـظام والتنظيم ، ووحـدة الهدف ، والقيادة .

ولقد بات من المسلّم به ، ما أجمع عليه جمهور العلماء من « أنـه لا بـد من إمـام يقيم الجُمـع وينـظّم الجمـاعـات ، وينفّـذ الحدود ، ويجمع الزكاة من الأغنياء ليردّها على الفقراء ، ويحمي الثغور ، ويفصل بين الناس في الخصومات بالقضاة الذين يعيّنهم ، ويوحّد الكلمـة ، وينفّذ أحكـام الشرع ، ويلمّ الشعث المتفـرّق ،

---

(١) سورة الحشر ، آية ١٠ .

ويقيم المدينة الفاضلة التي حثّ الاسلام على اقامتها »[1] .

إن هذا الاجماع كانت تعكّره في كافة المراحل أيادٍ خفيّة تعمل دوماً على اذكاء نار الفتنة بين المسلمين ، باختراع الأسباب الواهية ، حتى بين السّنة أنفسهم بين الشافعي والحنبلي ، وبين الشيعة جعفري وزيدي . . . الخ . مع أن مراجعة التاريخ تطلعنا أن أعلام المذاهب كانوا يعرفون حدود الاجتهاد ، ويقدّمون الثوابت والأصول ، ولا يدعون الفروع تتقدّم فتؤدي الى الخلاف بينهم .

فالإمام أبو حنيفة أخذ عن الإمام زيد ، والمعروف أن الإمام جعفر الصادق « كان مركزه في المدينة أكثر الأحيان ، ولكنه رحل الى الكوفة وأقام فيها حيناً . وممّن أخذ عن الإمام جعفر الامام مالك في المدينة والامام أبو حنيفة في الكوفة . فشهد الأول فيه أنه : كان من العلماء الزّهّاد الذين يخشون الله ، وقال الثاني : ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق »[2] .

أما إذا كان الحديث عن ثورة الفقهاء ضد الحاكم الجائر فهذا أمر عام ، وإذا كان الحديث عن الاضطهاد فكذلك لم ينج واحد منه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نرى أنّ أبا حنيفة نفسه لم يقبل المناصب من الأمويين فجلد بالسّياط أكثر من مرّة ، وكذلك كانت حالته مع العباسيّين حيث رفض تولّي القضاء في خلافتهم

(١) أبو زهرة ، الإمام محمد ، تاريخ المذاهب الاسلامية ، جـ ١ ، القاهرة ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص ٨٨ .

(٢) المحمصاني ، د . صبحي ، فلسفة التشريع في الاسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٧٩ .

حتى توفّاه الله في سجونهم .

والإمام الشافعي كما هو معلوم أبعد إلى مصر ، والإمام أحمد ابن حنبل لاقى ما لاقى عندما رفض أن يوافق الخليفة المأمون وبعده المعتصم فالواثق ، على القول بخلق القرآن ، فسجن وجلد وقتل تلامذته ، وأخيراً نفاه الواثق ، وقال له : لا تجمعنّ اليك أحداً ، ولا تساكنني في بلد أنا فيه فأقام الامام أحمد مختفياً لا يخرج إلى صلاة وإلى أية حاجة حتى توفّاه الله .

أعطيت هذه النماذج التي هي قليل من كثير ، لكي نعلم أن الاضطهاد لم يكن من نصيب أئمة دون آخرين ، وإنما كان من حظّ كل من قال كلمة الحقّ في وجه أي خليفة جائر وظالم ، ومن حظّ كل من لم تستهوه الدنيا ، فيميل اليها كل الميل .

والناحية الأخرى هي أن كل الفقهاء والمجتهدين جميعهم كانوا يتبادلون المعرفة ، ويتناصحون سعياً للأفضل ، والأكثر نفعاً للمسلمين ، وكان كلّ ينبّه الآخر مشافهة ، أو كتابة عمّا يراه عنده ، التزاماً بالحديث الشريف : المؤمن مرآة أخيه .

لكن ما نسمعه أو نقرأه أو نلاحظه ، من تعصّب وأهواء متطرفة ، كلّها من صنع مغرضين استغلوا كلمة الحقّ لباطل أرادوه ، ورأس هذا الباطل هو اغراق المسلمين في صراعات وألوان من الجدل العقيم ، تضيع جهودهم وتهدر طاقاتهم دون طائل ، وبهذه الطريقة يتمكّن منهم الصهيوني والشعوبي ، والمستعمر وكل من يعمل للإيقاع بهم .

فالعودة الى الأصول ، والالتزام بأسس العقيدة بعيداً عن

البدع المضلّة الوافدة من هنا وهناك هي الأمر المطلوب من أجل وحدة المسلمين ، وتعاضدهم كالبنيان المرصوص ، حتى يستطيعوا القيام بالدور الانقاذي لهم ولمن يساكنهم في مواطنهم من أبناء الديانات الأخرى ، وللعالم أجمع .

في واقع العصر الذي نرى فيه الأوروبيين وكل ملحقاتهم ، وقد أغرقوا الانسانية ودنّسوها بمادية باتت صنماً جديداً يستعبد من أجله الانسان ، لا يمكن الخروج من هذا المأزق ، ونحن مع مطلع اليقظة الدينية ، إلا بالدور الحضاري العربي ـ الاسلامي ، الذي يعيد للإنسان اعتباره انطلاقاً من حكم الله تعالى باستخلافه في الأرض .

لذلك ندعو كافة المسلمين الى تبديل احمرار الوجه ، واحتقان الدّم الناتج عن حماس وعصبية مرفوضة في الاسلام ، بتعقّل وتفكّر وتفقّه أمر به الله تعالى في غير آية وسورة .

وفي هذه الحالة يجب أن يتمّ التنبّه الى الدسائس الصهيونية والصليبية والشعوبية لأنها تتربص بالعرب وبالمسلمين الدوائر ، وتخوض معهم صراعاً تهدف منه الى تعطيل دورهم التحضيري حتى تستفرد مثل هذه التيارات الحاقدة بمصير شعوب العالم أجمع .

وإذا كانت وحدة المسلمين مطلوبة ، والتفرقة المذهبية مرفوضة ، فهذا لا يعني أبداً أننا نطلق دعوة تهدف الى سيادة مذهب أو اجتهاد على حساب آخر ، وإنما نريد أن نقول موضحين :

« ليست الـدعوة الى تقـريب المذاهب الاسـلامية دعـوة الى لقـاء مذهب على حساب مذهب ، ولكنها دعوة الى تنقية المـذاهب من الشوائب التي أثارتها العصبيات والنعرات الطائفية ، وأذكتها العقلية الشعوبية »[1] .

---

(۱) شلتـوت ، الشيخ محمـود ، مقدمـة لكتاب : اسـلام بلا مـذاهب ، د . مصطفى الشكعة ، م . س ، ص ٢٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَتَجِدَنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ومنهم قسيسين ورهبان وهم لا يستكبرون ﴾

الفصل الثاني

أسس العلاقات بين المسلمين والمسيحيين

أُسس العلاقات بين المسلمين والمسيحيين

١ ـ في المشكلة :

ترتفع بين حين وآخر اصوات تظهر الحمية والغيرة على المسيحيين في لبنان والأمة العربية ، محاولة ايجاد مشكلة اسمها الخوف على المصير الذي ينتظر الأقلية العددية المسيحية في واقع عربي اكثريته المطلقة من المسلمين . ومن بعض هؤلاء من يقول : إن المسيحي اذا رضي العيش في المجتمع العربي ذي الأكثرية الاسلامية فإنه سيكون في حقوق المواطنية من الدرجة الثانية أو الثالثة . . . وسيكون مغلوباً على أمره مضطهداً ، مقيّد الحرية مسلوب الارادة ، ويضيفون : بأنه سيكون في مكانة هي دون مكانة المسلم ، وسيحمل من الواجبات اكثرُ ما يطيق .

ولعلّ هذا الطرح الحاد يظهر في لبنان اكثر من غيره من الأقطار العربية ، حيث اعتمد بعض المغرضين طرح لبنان وطناً قومياً مسيحياً للأقليات المسيحية الموجودة في البلاد العربية ، لأن في ذلك رفع الخوف وضمانة المستقبل . والطرح يكثر في لبنان لأنه ، وبحكم تركيبته المجتمعية التي يطمح بعضهم من خلالها ان يبنوا نمطهم الحضاري الاغترابي المناقض لأصالة حضارة المنطقة ذات الطابع

العربي المؤمن ، حصلت أنواع من الصراع العسكري والثقافي على الهوية والحكم وغير ذلك ، علماً ان أكثر هذه الصراعات كانت تنفيذاً لإرادات استعمارية ، او صهيونية ، او شعوبية .

وإذا كان لبنان يعيش اليوم واحدة من أدق مراحل هذا الصراع ، وحيث يساهم عديدون في تعميق الانقسام الطائفي ، وتكريس التفتيت ، في محاولة لتثبيت كيانات ودويلات طائفية على حساب وحدة لبنان ، وتعايش ابنائه مسلمين ومسيحيين في دولة عادلة ، ومع ان التقسيم ارادة صهيونية لا مصلحة فيه لمسلم او مسيحي ، فالصهيونية عدوّة الجميع ، فإن تجار الطائفية والسياسة ، او المرتزقة ، يبرّرون فكرتهم في اقامة الدويلات بشعار الخوف حيناً ، وتحت مقولة الحرص على المسيحيين او المسلمين احياناً اخرى .

إن مقولة النظرة الدونية للمسيحيين في المجتمع العربي ذي الأكثرية الاسلامية ، مقولة مردودة على اصحابها ، لأن المجتمع العربي الاسلامي تقوم قواعده على اسس التعايش والتساكن بين المسلمين وغير المسلمين ، من مسيحيين او مستأمنين[1] ، فالإسلام نفسه لا يمنع ذلك ، بل يضع له القواعد والأحكام . وفي مثل هذه الحالة يرتبط المتعايشون برابطة المواطنية والجنسية ، ويفترقون في المعتقد ، مع العلم ان ضمانة حرية المعتقد متوفرة لكل انسان سواء كان في عداد الاقلية أو الأكثرية .

---

(١) المستأمن هو الذي وفد الى مجتمع يطلب اللجوء ، والأمان ، ويشبه ذلك ما يعرف اليوم باسم « اللاجىء السياسي» .

لقد تمادى بعض من امتهنوا التزوير للتاريخ ، وتبديل الوقائع ، فخلطوا بين الدين والحضارة ، ودمجوا بين وحدة الحكم وضرورة وحدة المعتقد . ومن هؤلاء وليد فارس الذي ادعى قائلاً : « واستمر العرب بحملاتهم التعريبية من خلال فرض الدين بالقوة على السكان . مما لا شك فيه ان هذه الظاهرة كانت طبيعية في تلك العصور ، حيث يفرض القوي الغازي دينه وحضارته على المغلوب على امره »(١) .

انه ادعاء لا يؤيده انتشار المسيحيين في مشرق العالم العربي ومغربه طوال التاريخ الاسلامي ، ولو كان هذا الكلام صحيحاً ، فما الذي منع الدولة العربية الاسلامية في زمن قوتها من طرد المسيحيين من الأرض العربية كما حصل مع العرب والمسلمين في الاندلس ؟

ومن غرائب التزوير قول وليد فارس عن المسيحيين بأنهم « تراجعوا عن لغتهم الأصلية ، اي الارامية السريانية ، وهي لغة مسيحية لا يزالون يستعملونها في قداديسهم حتى اليوم ، لصالح اللغة العربية ، ولكنهم ، ومواصلة لهدفهم الاستقلالي الحضاري ، وضعوا جميع قيمهم الفكرية في لغات مسيحية اخرى ، لها حظ اوفر في الاستمرار ، حيث ان الشعوب التي تتكلمها تستمر بعيدة عن خطر الابادة »(٢) . وكأني بالكاتب لم يقرأ تاريخ الفكر العربي فيرى ذلك العدد من النصارى الذين ساهموا في الحضارة العربية الاسلامية على امتداد الاربعة عشر قرناً الماضية ، ووقائع التاريخ تدحض رأيه

---

(١) فارس ، وليد ، التعددية في لبنان ، منشورات الكسليك ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢٨ .
(٢) فارس ، وليد ، م . س ، ص ٩١ .

تماماً ، اذ ان النصارى هم من ساهموا شبه وحيدين بنقل وترجمة معظم ما عند غير العرب الى اللغة العربية ، وبالتالي فهم أغنوا العربية ولم يقاطعوها كما يدّعي !! .

وفي غير مرحلة كان منهم علماء لغة بارزين مجيدين وحتى يومنا هذا ، فأين هي مقاطعة المسيحيين للعربية ؟ حتى في أزمنة ضعف الدولة العربية الاسلامية ويوم حاول العثمانيون تتريك العرب ، كان للنصارى فضل هام في الحفاظ على التراث العربي ، اما مقولته في استخدام الأرامية السريانية في تأدية القداديس والصلوات ، فهذا امر يتعلق بالمعتقد الديني المضمون لكل رعايا الدولة مسلمين وغير مسلمين ، وهو ليس دليلاً على مقاطعة المسيحيين للإسهام الحضاري في الحضارة العربية الاسلامية .

وإذا كان بعض المسيحيين او اللبنانيين قد خط افكاره احياناً بلغة غير عربية ، فهذا ليس امراً غريباً ، فكثير من المستشرقين كتب باللغة العربية واجاد ، فهل معنى ذلك انهم قاطعوا حضارة مجتمعهم لصالح الانتماء الحضاري العربي ؟ .

ان الأمة العربية بتكوينها الحالي ، كانت قبل الاسلام في طريق اكتمال تكونها المجتمعي ، وفي ظل الاسلام تبلورت شخصيتها الحضارية ، فنتجت حضارة واحدة عربية ـ اسلامية ينتمي اليها كل سكان المنطقة مسلمين ومسيحيين ، مع بقاء الشخصية الدينية لكل جماعة . وكان من ابرز سمات المجتمع الحضاري العربي ـ الاسلامي ضمان حرية العقيدة لكل ابنائه . في حين ان تاريخ علاقة نصارى المنطقة العربية مع البيزنطيين قد عرفت شتى

انواع الاضطهاد ، وخاصة الكنيسة المارونية كما سيأتي لاحقاً . وهذا ما دفع بالمسيحيين ومنذ الفتح الاسلامي للتحالف مع ابنـاء قومهم المسلمين ضد ابناء دينهم البيزنطيين ، وبعدها الصليبيين ، واخيراً الأوروبيين عامة ، وهذا ما سنوضحه في ما سيلي .

٢ ـ المفهوم العقيدي لعلاقة المسلمين بالمسيحيين :

يـأخـذ بعض مـدّعي الخـوف على الاقليـات المسيحيـة من الأكثـرية الاسـلاميـة في المجتمـع العـربي ، ان الإسـلام يصنف المسيحيين بأنهم « أهل ذمّة » . وكأن التعبير حسب ادعائهم يحمل شيئاً من انتقاض حقوق المسيحيين ، مع العلم ان محاولة فهم المصطلح « أهل الذمة » تظهر لنا ان الكلمة في تصريفاتها اللغوية ليس فيها خوف او انتقاص مكانة . فالذمة معناها : العهد والأمان . والذميّ هو الذي أُعطِيَ الأمان على دمه وعرضه وماله .

ومنها الذم : الكفالة ، الذمام ومفردها أذمة وهي الحرمـة . وأذمّه : معناها أجاره وتعهد بحمايته . وهكذا فإن « عقد الذمة عقد بمقتضـاه يصير غيـر المسلم في ذمة المسلمين ، اي في عهـدهم وامانهم على وجه التأبيد »[١] .

والذمي الذي يدفع الجزية اسهاماً في واجبـه تجاه الـدولة ، وسنورد لاحقاً احكامها ، يصبح له بموجب ذلك « الامان على نفسه

---

(١) المـاوردي ، أبو الحسن ، الأحكـام السلطانية ، مصـر ، مـطبعـة الـوطن ، سنـة ١٢٩٨هـ ، ص ١٣٧ .

واهله وماله في المقام والسفر»[1] .

اما في موضوع الاشتراك في المواطنية ، فإن الاسلام لا يمنع تعايش المسلمين والمسيحيين في مجتمع واحد ، لأن الجميع تجمعهم وحدانية العبودية لله تعالى ، والاقرار بعبادة الله الواحد دون شرك ، او عبودية لغيره تعالى . والتعايش ينطلق من قاعدة الخطاب في الآية الكريمة : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾[2] .

واذا تعايش الجميع تظللهم الكلمة السواء كلمة « لا إلَـه إلا الله » ، عندها يسنّ لهم الاشتراك في المواطنية ، والسكن والأطعمة وتبادلها ، حيث أحلّ للمسلم ان يأكل من طعام الكتابي وخاصة ذبائحه ، الا اذا أُهلّ بها لغير الله فعندها تحرم عليه . وما احلال الطعام الا رمز لاحلال سواه من آلات وادوات الحياة اليومية كالصناعات والملابس وعمارة البيوت وغيرها ، وهذا ما يمكن استنباطه من تلمس ما تشير اليه الآية الكريمة في قول الله تعالى : ﴿ اليوم احلّ لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حلّ لهم ﴾[3] .

ويتجاوز الحكم الشرعي مسألة الادوات المعيشية والأطعمة التي تجوز المشاركة فيها بين ابناء المجتمع الواحد مسلمين وغير

---

(١) الجوزية ، ابن قيّم ، احكام اهل الذمة ، القسم الأول ، تحقيق د . صبحي الصالح ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص ١٥٧ .

(٢) آل عمران ، آية ٦٤ .

(٣) المائدة ، آية ٥ .

مسلمين ، ليعطي للمسلم حق الزواج من المسلمة او من الكتابية ، اذا ما تمّ الزواج بشكل مشروع دون انحراف ، او علاقات غير مقبولة شرعاً ، وفي هذا جاء قول الله تعالى : ﴿ والمحصّنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن غير مسافحين ولا متخذي اخدان ﴾[١] .

وإذا كانت بعض آيات القرآن الكريم قد دعت الى الحذر من بعض أهل الكتاب ، والتشدد في مواجهتهم ، فإن معظم ذلك ينصرف الى اليهود الذين ما فتئوا يكذبون الرسل والانبياء ، ويزرعون الفتن والانقسامات بين كل من تآلفوا من ابناء اي مجتمع ، والذين سطّروا تزويرات وادعاءات اعطوها غطاء دينياً ، وهي ليست مما تقرّه شرائع الله تعالى .

وما نقوله تشير اليه الآية الكريمة : ﴿ لتجدنّ اشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ومنهم قسيسين ورهبان وهم لا يستكبرون ﴾[٢] . ويذهب بعض المفسّرين الى انه في الآية الكريمة اشارة الى نجاشي الحبشة الذي استقبل المسلمين الهاربين من اذى الكفار في مكة المكرمة وكانوا بقيادة جعفر بن أبي طالب ، وبعد ان قرأوا عليه آيات من كتاب الله فاضت عيناه بالدمع ، فأحسن وفادتهم ، وما ذلك الا لمودة تجمع المؤمنين بالله الواحد ضد كفار ومشركين جاحدين ، يتعلقون بأصنام لا تملك ضرراً ولا نفعاً .

---

(١) المائدة ، آية ٥ .

(٢) المائدة ، آية ٨٢ .

ان النصارى الأقرب مودّة للمسلمين هم الذين دخلوا في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذمة المسلمين من بعده يؤدون واجباتهم ، ويأخذون حقوقهم غير منقوصة ، لأن رسول الله هو أحق من يفي بذمته ، وحفاظاً على عقد الأمان والحماية للنصارى ، جاء في الحديث الشريف :

« من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه ، خصمته يوم القيامة » .

« من آذى ذمياً فقد جافاني » .

« انا أحق من وفى بذمته » .

ومن خصوصيات التكريم والمودّة بين المسلمين والمسيحيين ، نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي للمسلمين اشارة مسبقة بأن اقباط مصر سيكونون عوناً للمسلمين ، وسيتعاملون معهم بإيجابية من يرون فيهم ابناء جنسهم ووطنهم .

وفي الحديث اشارة الى ان المسلمين والاقباط الذين يشتركون بكلمة سواء هي عبادة الله الواحد ، والذين سيشتركون في مجتمع واحد ، سيكون بينهم مودّة ورحم ، وحياة يسودها التعاون والعدل . ويروي البلاذري قائلا : « حدثني عمرو بن عبد الله بن وهب عن مالك والليث عن الزهري ، عن ابن كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمّة ورحماً ، وقال الليث : كانت ام اسماعيل

منهم »[1] . واسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام هو جد العرب ، ومن سلالته النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ المسيحيون العرب والاضطهاد البيزنطي :

لقد عرف المسيحيون في بداية الدعوة المسيحية اشد الوان التعذيب والتنكيل على يد الروم الحاكمين الى ان اعتنقت الدولة البيزنطية المسيحية بشكل رسمي ، ولكن حتى في هذه الحالة تطلعنا المراجعة الأولية لتاريخ المرحلة الفاصلة بين بدء الدعوة المسيحية ، ومجيء رسالة الاسلام ، ان المسيحيين عامة ، وسكان المنطقة العربية منهم بشكل خاص عانوا ما عانوه على ايدي البيزنطيين ، ولاقوا القمع حتى في موضوع حرية العقيدة ، وتعدد الفهم والاجتهاد المسيحي في المسائل اللاهوتية .

وإذا كان المسيحي يعيش آمناً على نفسه وماله ، وحرية معتقده ، بموجب عقد الذمة في مجتمعات يحكمها مسلمون ، فإنه لا امان له في ظل حكم الروم الذين سمحوا بالتدخل في كل شيء ، وفرضوا اجتهادهم اللاهوتي على من سواهم .

ومن الأمثلة على ذلك ما لاقته الاريوسية من محاربة ، وما لاقاه القديس آريوس في سبيل فهمه وآرائه في طبيعة السيد المسيح عليه السلام . وآريوس كاهن من اصل ليبي ، ولد سنة ٢٥٦م ، وعاش في مصر ، كفّره مجمع عقد في الاسكندرية ، فلجأ إلى فلسطين .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ٢٢٠ .

وآريوس كان يقول : ان الله واحد غير مولود لا يشاركه شيء في ذاته تعالى ، وان السيد المسيح عليه السلام انسان محض ، وكان عظيماً ، وهو كلمة الله المخلوقة .

وانعقد من ثم المجمع المسكوني لمواجهة الاريوسية ، في نيقيا في شمال غربي آسيا الصغرى ، برئاسة الامبراطور قسطنطين شخصياً ، عام ٣٢٥م .

وبنتيجة هذا المجمع أدينت الآريوسية ، وتقرّر ازالتها من بين المسيحيين في الشرق . وان يكون الايمان بالثالوث هو البديل .

ولم يكن حظ البطريرك نسطوريوس بأفضل من الأريوسيين ، ونسطوريوس كان يقول : بأنه في شخص السيد المسيح عليه السلام طبيعتين : واحدة إلّهية والأخرى بشرية . وان عذاب الصلب على يد اليهود قد نال من الطبيعة البشرية . وان السيدة مريم عليها السلام هي امّ المسيح الانسان ، وليست ام الله كما يأتي في الصلوات .

ونسطوريوس نصّب بطريركاً على القسطنطينية في سنة ٤٢٨م . وبنتيجة آرائه السالفة الذكر ، قامت ضده الاحتجاجات ، فتدخل الامبراطور البيزنطي وعقد مجمعاً مسكونياً ، هو الثالث ، في « افسس » سنة ٤٣١م ، حكم فيه على مذهب نسطوريوس بأنه هرطقة ، وصدر فيه قرار بطرد نسطوريوس من كرسي البطريركية وحرمانه ، وارسل منفياً الى شمال الجزيرة العربية ، الى منطقة تعرف بالبتراء .

ولقد تبع هذه الاجراءات القمعية كثير مثلها ، وكان منها مجمع خلقدونيا الذي عقد عام ٤٥١م للميلاد ، وكان فاتحة الانشقاق بين

الكنيسة الرسمية في القسطنطينية ، والكنيسة السريانية في سوريا ، والكنيسة القبطية في مصر . وكان هذا المجمع منطلقاً لانواع المحاربة والاضطهاد لكل من يخالف الكنيسة الملكانية البيزنطية في طروحاتها واجتهاداتها ، وترافق مع ذلك التسلط الديني ، التسلط السياسي على كل الخاضعين للحكم البيزنطي ![1] .

ومن نماذج هذا الاضطهاد للنصارى عامة ، والموارنة خاصة ما ينقله المؤرخون من ان الامبراطور يوستنيان الثاني قد ازعجه عدم التزام الموارنة الاجتهاد الكنسي الذي التزمته الكنيسة البيزنطية ، فما كان منه الا ان جرّد حملة عسكرية للقبض على بطريرك الموارنة الجديد « مار يوحنا مارون » ، وكان على رأس الحملة قائدان بينزنطيان هما : موريق وموريقان . وتقول :« الأخبار المارونية المتوارثة ، أنهما هاجما دير رهبان مار مارون (دير البلّور) في سورية ، وقتلوا ٥٠٠ راهب من رهبانه ، وهدموا بنيانه ، ولكن البطريرك الماروني فرّ والتجأ الى لبنان . ولحقت القوة البيزنطية بالبطريرك الهارب فاصطدمت في (اميون) بقوات من الموارنة

---

(١) يراجع بذلك :

ـ حتي ، د . فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة د . جورج حداد وعبد المنعم رافق ، مراجعة د . جبرائيل جبور ، بيروت ، دار الثقافة ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٤١٠ وما بعدها .

ـ قنواتي ، الأب د . جورج شحاتة ، المسيحية والحضارة العربية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بدون تاريخ ، ص ٢٦ وما بعدها .

ـ مكي ، د . محمد علي ، لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، بيروت ، دار النهار ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٤٩ وما بعدها .

وكانت نتيجة المعركة مقتل القائدين البيزنطيين »[1] .

وفي ظل هذا الاضطهاد لم تستطع الكنيسة المارونية ان تحقق استقلالها وكيانها المستقل ، الا في ظل الخلافة العربية الاسلامية .

ان هذا الاضطهاد الذي عرفه المسيحيون ، تحت الحكم البيزنطي ، الذي هيّأ الاجواء لكي يهب كل مسيحيّي المنطقة العربية مرحبين بالفتح الاسلامي الذي قاده العرب ، وهو تعاون مع ابناء الوطن ضد ابناء الدين ، وما ذلك الا لأنهم نشدوا الحريّة والأمان في ظل الحكم العربي ـ الاسلامي .

٤ ـ المسيحيون والفتح العربي الاسلامي :

ان القاعدة التي تعامل على اساسها العرب ـ المسلمون الفاتحون ـ مع المسيحيين هي عبادة الله وحده ، لأن دعوة التوحيد هي دعوة جميع الرسل والانبياء . ولقد قامت على اساس هذه القاعدة مودة تحكم التعايش الاسلامي ـ المسيحي اكدت عليها الآية الكريمة : ﴿ ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انّا نصارى ﴾ ويفهم من تلمس معنى الآية الكريمة ، ان الذين قالوا إنّا نصارى من اتباع المسيح عليه السلام ، فيهم مودة للمسلمين ، لما في قلوبهم ـ إذا كانوا على دين المسيح عليه السلام ومنهاجه ـ من الرأفة والرحمة .

والتعايش الاسلامي ـ المسيحي قام على أساس من حرية العقيدة المصانة للمسيحيين بموجب عقد الذمة ، ومن الحكم

---

(١) مكي . د . محمد علي ، م . س ، ص ٤٧ .

المنصوص عليه في قول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ ﴾[1] .

ومنذ ايام الفتح الأولى ضمنت حرية العقيدة ، وكانت العهود والمواثيق ، ونطالع اقدمها ذلك العهد الذي كان لنصارى نجران من رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي جاء فيه : « ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد رسول الله (ص) على اموالهم وملّتهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير »[2] .

ومن انواع المودة ، والأمر بمعاملة النصارى بالتي هي احسن وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لاقباط مصر إذا تمّ فتحها والتي سبق ذكرها . وعند افتتاحها كان فعلاً تنفيذ الوصية ، حيث اعطي اهلها الاقباط اماناً وعهداً ، وكتب لهم عمرو بن العاص عقداً جاء فيه : « انهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم واولادهم . . وفرض عليهم خراجاً لا يزاد عليهم ، وان يدفع عنهم خوف عدوّهم »[3] .

وقد اثر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اهتمامه بأهل الذمّة ، وتنبيهه الدائم للولاة بحسن معاملتهم ، ويقول البلاذري : « حدثني هشام بن عمار ، انه سمع من المشايخ يذكرون ان عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من ارض دمشق مرّ بقوم

---

(١) البقرة ، آية ٢٥٦ .

(٢) زيدان ، د . عبد الكريم ، احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٩٥ .

(٣) البلاذري ، م . س ، ص ٢١٩ .

مجذّمين من النصارى فأمر ان يعطوا من الصدقات وان يجرى عليهم القوت »[1] .

اضف الى ذلك الحادثة الشهيرة مع الخليفة الفاروق نفسه عندما رفض ان يصلي بالكنيسة في القدس ، رغم دعوته من قبل القائمين عليها لذلك تكريماً له ، وذلك حتى لا يسنّ سنّة لا تقبلها العقود والعهود المعطاة للمسيحيين ، وحتى لا يدّعي المسلمون فيما بعد ان عمراً قد صلّى في مكان ويجب بالتالي ان يتحول مسجداً .

وينقل لنا المؤرخون ايضاً « ان امير المؤمنين عمر رضي الله عنه مرّ بشيخ من اهل الكتاب يسأل على ابواب الناس فقال : ما أنصفناك ، ان كنا اخذنا منك في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك ، . . . ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه »[2] .

وعلى عهد الجوار والحماية عقد كل الفاتحين المسلمين العقود مع المسيحيين في اية منطقة دخلوها ، وها هو ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يصالح اهل بعلبك بعهد جاء فيه : « . . . هذا كتاب امان لفلان ابن فلان ، وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها ، وعلى انفسهم واموالهم وكنائسهم ودورهم ، داخل المدينة وخارجها . . ولتجارهم ان يسافروا الى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليها . . »[3] .

---

(١) البلاذري ، م . س ، ص ١٣٥ .
(٢) الجوزية ، ابن قيّم ، م . س ، ص ٣٨ .
(٣) البلاذري ، م . س ، ص ١٣٦ .

ومن أنواع هذه المواثيق ، ووصايا الخلفاء الى امرائهم والولاة المعيَّنين من قبلهم على انحاء البلاد بعدم تجاوز ما ورد فيها ، كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى واليه على خراسان عبد الرحمن ابن نعيم: « لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه »[1] .

إن هذا الأمان الذي نعم به المسيحيون بمقابل اضطهاد البيزنطيين لهم ، حملهم عند الفتح على التعاون مع أبناء أمتهم ضد أبناء دينهم ، وأول ما ظهر ذلك عندما حاصر العرب المسلمون دمشق لكي يفتتحوها، يقول فيليب حتي عن سقوطها: «ولقد سلمت دمشق في أيلول من سنة ٦٣٥ م . بعد حصار دام ستة أشهر وكان تسليمها أثر خيانة قام بها بعض أرباب السلطة المدنية والروحية ومنهم الأسقف جد القديس يوحنا »[2] .

وهذا التعاون مع أبناء الوطن ضد أبناء الدين ، سببه أنه كان وراء « النزعة الدينية التي حسنت لهؤلاء التعلق بكنيسة سورية المستقلة ، الشعور الوطني القائل بوجوب التمييز عن البيزنطيين الاغراب »[3] .

وكان لأهل دمشق ما أرادوا من تحرّر ، وعزة وطنية ، وتجسّد

---

(١) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، جـ ٦ ، بيروت ، دار سويدان ، بدون تاريخ ، ص ٥٧٢ .

(٢) حتي ، د . فيليب ، وآخرون ، تاريخ العرب ، جـ ١ ، بيروت ، دار الكشاف ، ط ٤ ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٠٣ .

(٣) حتي ، د . فيليب ، وآخرون ، م . س ، ص ٢٠٦ .

ذلك في العهد الذي أعطاهم إياه خالد بن الوليد ، والذي جاء فيه : « هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزية »[1] .

وبفضل هذا الأمان والعلاقات القائمة على أسس واضحة من حرية العقيدة ، واحترام الانسان أي انسان في هذا المجتمع العربي - الاسلامي ، تبلورت الشخصية الحضارية العربية ، وسمتها الايمان بالله ، وبدور الانسان المستخلف في الأرض ، وساهم الجميع ببناء صرح هذه الحضارة ، ولعل العودة الى أي كتاب يتحدث عن الرجالات الذين أسهموا في مجالات الفكر العربي عامة ، تطلعنا على ذلك العدد الضخم من المسيحيين الذين شاركوا في كل علم وصنعة ، سواء في أعمال الترجمة ، أو في الفلسفة ، أو في الطب ، أو في نظم الشعر . . . الخ . وهكذا نرى بأن استعراب البلاد التي كان منها الأمة العربية كتكوين مجتمعي « أتاح لقومها أن يخالطوا الفاتحين . ولا شك أن العلاقات لم تقف عند المبادلات الاقتصادية والادارية بل جاوزتها الى المجال الديني والفكري أيضاً »[2]. وللاطلاع على دور المسيحيين في الحضارة العربية يمكن العودة لكتاب الأب جورج شحاته قنواتي

---

(١) البلاذري ، م . س ، ص ١٢٨ .

(٢) قنواتي ، الأب د . جورج شحاتة ، م . س ، ص ٩٦ .

« المسيحية والحضارة العربية » . أو لكتاب « الفهرست » لابن النديم ، أو لأي من الكتب الأمهات التي تؤرخ للحقبة العربية الماضية .

لعل هذا الاسهام مردّه الى تلك الحقوق الكاملة في المواطنية التي أعطيت للنصارى بحيث شعروا أنفسهم جزءاً فاعلاً من المجتمع ، ولم يشعروا بحالة اغتراب مع السلطة يومها . والعلاقة لم تقم فقط على عقود الأمان والحماية فحسب ، وإنما لم يحظر الاسلام ولا الحكام أي عمل يدوي أو فكري على المسيحيين . ويحمل لنا تاريخ الحضارة العربية أسماء كثيرة كان لها دور فاعل في النهضة وفي الدولة ، فهناك عديدون تولوا مناصب هامة في دوائر الكتابة والدواوين ، وبيوت الحكمة وغيرها . ويقول فيليب حتي : « إن النصارى كثيراً ما تقلّدوا مناصب هامة في دوائر المال والكتابة والمهن الحرة حسدهم عليها بعض المسلمين »[1] .

إن حرية العمل هذه ، وحرية الكسب وتولي الوظائف ، والعمل الفكري ، رافقتها مناخات من الحرية الدينية لم تتوفر للنصارى حتى في ظل الدولة البيزنطية المسيحية كما أشرنا سابقاً . فلقد تمتع النصارى « في ظل الخلافة بقسط وافر من الحرية ونالوا كثيراً من التساهل والعطف كما تشهد بذلك عدة حوادث . فقد جرت مناقشات دينية في بلاط العباسيين كتلك التي جرت في بلاط معاوية وعبد الملك ، وقد ألقى ثيموتاوس بطريرك النساطرة خطاباً

---

(١) حتي ،د . فيليب ، وآخرون ، تاريخ العرب ، جـ ٢ ، م . س ، ص ٤٣٦ .

في سنة ٧٨١ م . دفاعاً عن النصرانية أمام المهدي »[١] .

ولأن حرية الاعتقاد مضمونة ، ومجادلة أهل الكتاب لا تكون الا بالتي هي أحسن ، فإن المسيحيين عرفوا في ظل الخلافة أزهى عهود الحرية ، وبذلك تخلصوا من الاضطهاد الديني الذي كان يلحقهم من أبناء دينهم البيزنطيين ، ويقول فيليب حتي منبهراً : « ومن أعجب الظواهر في حياة النصرانية في ظل الخلفاء أنه كان لها من القوة والنشاط ما دفع بها الى التوسع فافتتحت لها مراكز تبشيرية في الهند والصين . وقد أنبأنا ابن النديم عن اجتماعه براهب في دار الروم ببغداد كان قد انفذه الجاثليق مبشراً الى الصين »[٢] .

هذا عن المشرق العربي ومصر والجزيرة ، والحالة لم تكن غير ذلك في المغرب والأندلس ، حيث عرف المسيحيون مناخاً من الحرية ، وحقوق المواطنية لم يعهدوه في ظل حكوماتهم من قبل ، حيث كان يفرض عليهم مذهبهم الديني ، وتقيّد حريتهم في مجالات عديدة . بينما ترى أنه في ظل الدولة العربية الاسلامية ، وفي الأندلس خاصة « كان اتباع الطوائف النصرانية المختلفة أحراراً في ممارسة دينهم ، كل جماعة على الطريقة التي تألفها تابعة نظامها الكهنوتي في أمور القضاء والشريعة . . . فلم يكن الاحتلال العربي مجحفاً بحق أهالي البلاد الأصليين ولا هو وضع عليهم ، أعباء جديدة . . فقد قضى على سطوة الطبقة المتمتعة بالامتيازات على حساب الشعب ومن هذه الطبقة النبلاء والاكليروس . .

---

(١) حتي ، د . فيليب ، وآخرون ، جـ ٢ ، م . س . ، ص ٤٣٤ .

(٢) حتي ، د . فيليب ، وآخرون ، جـ ٢ ، م . س ، ص ٤٣٦ .

ومنح الملاك النصراني حقوقاً كحرية التخلي عن عقاره وهو أمر لم يعهده في حكم القوط »[1] .

بعد كل الذي ذكرناه وهو قليل من كثير ، هل يحق لمدّع أن يقول : بأن المسيحيين يجب أن يكونوا جيوباً ملحقة بالغرب أو الشرق حضارياً ؟ أو أن يعملوا على اقامة دويلة مسيحية خاصة بهم في المنطقة العربية ، وقد عرفنا عهد المسلمين ، وحقوق المواطنية المصانة للجميع ؟! . . .

٥ ـ حوادث وادّعاءات :

قد يحتج بعض دعاة الوطن القومي الماروني في لبنان ، أو القائلين أن لبنان جزء من واقع الغرب الحضاري ، ولا علاقة له بالحضارة العربية ، بما جرى في بعض الأزمنة من عمليات تأديبية من الدولة في الماضي لقيام جماعة بأعمال عصيان وتمرّد أو تعاونهم وعمالتهم لجهة ما ، ضد حكامهم . ومثل هذا الفعل اجراء طبيعي الحصول ، وليس مردّه الى الاختلاف في الدين .

ففي كل دولة ومجتمع يعاقب الخائن ، أو المتعامل مع الأجنبي ضد بلاده بصرف النظر عن انتمائه الديني أو السياسي . ومن الروايات التي يتناقلها المؤرخون عن مثل هذه الحوادث « بندار » وزعمه أنه يقوم بثورة ضد الوالي العباسي يومها على بعلبك صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، وذلك حوالي العام (٧٥٨ ـ ٧٥٩ م) ، وكان « بندار » في تحركه متعاوناً مع البيزنطيين

(١) حتي ، د . فيليب ، وآخرون ، جـ ٢ ، م . س ، ص ٦٠٧ .

الذين حاولوا استرداد بعض المناطق التي كانوا يحتلونها . ولقد قام بنـدار مع اتبـاع له من مـوارنة الجبـل بالهجـوم على قرى بقـاعيـة فخرّبوها وآذوا أهلها ، عندها تحرّك الوالي للأخذ على يده ، فغُلِب بندار على أمره ، وهرب لاجئاً الى ملك الروم ، وقرّر يومها الوالي صالح بن علي اخـراج بعض الموارنـة من قراهم ، وتـوزيعهم في مختلف قرى ومدن الشام ، وبذلـك يختلطون مع مـواطنيهم ، ولا يبقون جماعة منغلقة على نفسها تتعاون مع الأجنبي . وإذا بالإمام عبد الرحمن الأوزاعي وهو فقيـه بلاد الشام يهب مستنكراً هذا الاجراء ، ويرسل الى الوالي رسالة طويلة ، جاء فيها : « كيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وحكم الله ﴿ أن لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وهو أحق ما وقف عنده وافتدى به ، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال : من ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته فانا حجيجه »[1] .

وإذا كـانت حقوق المـواطنية تستلزم سـلامة أسس التعـايش الاسلامي ـ المسيحي وأن يعاقب المذنب دون غيره ، فـإن موقف الامام الأوزاعي التاريخي يعطي القدوة في هذا المجال ، وهذا ما حمـل فيليب حتي على القول : « إن النـظرة اللبنـانيـة الشـاملة ، والروح اللبنانية السمحة تتجسدان في سماحـة روح الأوزاعي وفي نبل أخلاقه . فإنه كان يشدّد على فكرة العدل والرفق والعطف عندما كان الأمر يتعلق بالرعايا من غير المسلمين »[2] .

---

(١) البلاذري ، م . س ، ص ١٦٧ .

(٢) حتي ، د . فيليب ، لبنان في التاريخ ، م . س ، ص ٣٢٩ .

وقريب من هذه الحادثة ما قام به ملاح من مدينة صور اسمه « علاّقة » في السنة الثانية من حكم الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٩٦ م ـ ١٠٢١) ، حيث أعلن « علاقة » استقلاله عن الخلافة وتمرده ، وصك نقوداً باسمه كتب عليها : « العز بعد الفاقة للأمير علاّقة » . وقد استعان في حركته هذه بقطع من الأسطول البيزنطي ، ونجح في تمرّده الذي استمر مدة من الزمن الى أن جرّد الفاطميون حملة عليه ، أجبرته على الاستسلام بعد حصار دام بعض الوقت ، فهل هذا عمل موجّه ضد المسيحيين من المسلمين ؟ أم هو قضاء على عمالة وتمرّد هو من حق الدولة الحاكمة ؟ .

بعد فشل البيزنطيين في كل محاولاتهم ، ولأطماع استعمارية واقتصادية قامت الحملات الصليبية من الغرب محاولة احتلال المنطقة العربية متخذة من الصليب ستاراً ليس أكثر . فما كان من بعض موارنة الجبل الا أن تعاملوا مع المستعمرين المحتلين ضد أبناء وطنهم وعلى حساب حرية الوطن وكرامته . والمؤسف في هذا المجال أن نرى شخصاً يعدّ الحكم العربي للمنطقة احتلالاً ، والاحتلال الصليبي الغربي استرداداً لحق . ونقرأ ذلك عند وليد فارس الذي يقول : « ان الشرق المسيحي قد قام بحملته الصليبية لتحرير أراضيه من الاحتلال العربي الذي دام عدة قرون . ولكن عدم نجاح المسيحيين الشرقيين وعلى رأسهم بيزنطة أدى فيما بعد الى انطلاق الحملات الصليبية الأوروبية»[1] . ويضيف وليد فارس

---

(١) فارس ، وليد ، م . س ، ص ٦١ .

قائلاً عن علاقات مزعومة بين موارنة الجبل والصليبيين يومها : « أمّا العلاقات مع الفرنج أو مسيحيّي الغرب الشرقيين أبناء الصليبيين ، **فظلّت وطيدة والاتصالات مكثفة»**[1]. وهنا نريد أن نسأله : أي أرض هي للأوروبيين حتى يحرروها ؟. وما هو مبرّر العلاقات الوطيدة مع من هدم أديرة الموارنة في مناطق حماة ؟ وأي ود مع بيزنطيين جرّدوا الحملات التي وصلت الى أميون في شمال لبنان لملاحقة مار يوحنا مارون وأتباعه ؟. ونريد أن نسأله : هل يحق للانسان أن يعادي مواطنيه وحضارته ويقول عن نفسه بعد ذلك أنه عامل لكرامة الوطن ؟

وأعتقد أنه يعلم تماماً بأن العلاقات حتى الدينية بين الكنيسة المارونية في لبنان والبابوية الكاثوليكية في روما ليست قديمة العهد ، فما مبرر العلاقات الوطيدة اذن ؟!.

ولعلّه من المفيد أن نذكر في هذا الباب ذلك الموقف المستغرب من بعض موارنة الجبل الذي يقول فيه فيليب حتي : « وقد بدأت العلاقة الودية بين الموارنة والصليبيين في عهد مبكر . كان ذلك لما قدموا للحملة الصليبية الأولى ادلاء يرشدونهم الى الطرق والمعابر ، ولما أرسلوا فرقة من النشابة المتطوعة الى مملكة بيت المقدس »[2] .

أما وليد فارس فإنه يعطي للقلة حق تمثيل المجموع ، فإذا به

---

(١) فارس ، وليد ، م . س ، ص ١٠٢ .

(٢) حتي ، د . فيليب ، لبنان في التاريخ ، م . س ، ص ٣٩٢ .

يلصق سلوك جماعة ممن باعوا أنفسهم للأجنبي باللبنانيين عامة فيقول : « أما بالنسبة للبنان ، فقد تعاون سكانه من خلال سلطاتهم الزمنية والدينية مع الصليبيين وحكموا معهم المناطق المسترجعة ، . . . واختلطوا معهم ، وتزاوجوا وتقاربوا وتبادلوا في جميع ميادين الحياة كالثقافة والتجارة والاقتصاد والأمور المجتمعية . فكانت للمسيحيين الشرقيين فرصة في أن يجددوا الاتصال الروحي والحضاري مع أخوانهم الغربيين »(١) .

وهنا نقول لوليد فارس : أي لبنان ذلك الذي تعاون مع الصليبيين ؟ وهنا لا بد من العودة الى التاريخ للتعرف على ما جرى للصليبيين من مقاومة وكان أولها في عرقة (عكار) حيث اضطر الصليبيون لفك الحصار عنها بعد أربعة أشهر دون سقوطها في يدهم سنة ١٠٩٩ م . وكذلك طرابلس التي تجاوزوها دون أن تسقط في يدهم الى بيروت التي تجنّبوا بداية دخولها وسلكوا طريقهم الى بيت المقدس بمعاونة ادلاء موارنة ، وعادوا فحاصروها ولم تسقط في يدهم الا سنة (١١١٠ م) . وهكذا يكون الساحل اللبناني بمدنه الرئيسية قد صمد مدة احد عشر عاماً بالتمام والكمال ، فكيف يكون اللبنانيون قد تعاونوا مع الصليبيين ؟ . وهل يجوز اتهام عامة بما اقترفته خاصة من اثم العمالة مع الأعداء ؟! . ويقول وليد فارس : « عبارة المناطق المسترجعة » وهنا أود سؤاله هل احتلال أرض من قبل استعمار هو استرجاع أم سلب لحق ؟

أما عن الفائدة التي يدّعيها والتبادل فأترك الجواب فيه لفيليب

---

(١) فارس ، وليد ، م . س ، ص ٦٨ .

حتي عندما يتحدث عن نتائج الحروب الصليبية فيقول : « أن المرء ليستطيع القول أن أثرها في الغرب كان أفضل من أثرها في الشرق . فان هذه الحروب فتحت أمام الغربيين كوى أطلوا منها على آفاق رحبة بعيدة لا سيما في حقلي التجارة والصناعة . أما أثرها في الشرق فقد كان خراباً على طول الشاطىء وحقداً وكراهية بين المسلمين والنصارى »[1] .

هذه نماذج عن مخالفات قام بها بعض الموارنة لصالح الأجنبي جرّت الويلات ، وزرعت الفتن الطائفية ، وخلفت الخراب . وفي هذا الباب تدخل الفتن والاضطرابات التي حصلت في منتصف القرن الماضي نتيجة العمالة للأجنبي ، وفي هذا المجال يمكن الحديث عما يجري على الساحة اللبنانية منذ العام ١٩٧٥ ، حيث يعمل المتآمرون على وحدة لبنان وتحرره ، لتفتيته وتقسيمه تنفيذاً لمخططات اسرائيل ودوائر الاستعمار . والخطير في أيامنا ، تلك الهرطقة التي يمارسها المراهنون على المستعمر والمحتل ، غير آبهين بعلاقاتهم مع أبناء وطنهم وأمتهم ، ووصلت الهرطقة الى حد المراهنة على اسرائيل ذلك العدو التاريخي لوجودنا وحضارتنا ، الطامع بأرضنا وخيراتنا ، المحارب لنا حتى في مجال العقيدة والدين مسلمين كنّا ، أم مسيحيين .

٦ ـ ايضاحات وردود حول الجزية والزي :

بين الحين والآخر ترتفع أصوات هنا وهناك مدّعية أن المسيحيين ظلموا في ظل الخلافة الاسلامية ، وأنه كان هناك ثمة

---

(١) حتي ، د . فيليب ، لبنان في التاريخ ، م . س ، ص ٣٧٨ .

انتقـاص من حقوقهم في المـواطنية ، وتصـل الادعاءات الى حـد افتراض بعض الأوهام ، أو التفسيـرات المغلوطة لأمـور ليس صحيحاً ما يشاع حولها . مع العلم أن من أنـواع الحريـة المعطاة للمسيحيين ، إضـافة الى مـوضوع العهـود والضمـانـات ، قضيـة الاحتكام في قضاياهم الخاصة الى الانجيل ، تنفيـذاً لما جـاء في قول الله تعالى : ﴿ وليحكم أهلِ الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾[١] .

أما عن موضـوع الجزيـة التي يدّعي بعض المـزوّرين بأنهـا انتقاص من حقّ المسيحي ، فان الـوقائـع والدلالات تثبت عكس مثل هذا الادعاء .

إن حكم الجزية مأخوذ من قول الله تعالى : ﴿ حتى يعـطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[٢] .

وصـاغرون المقصـود بها ، أن يعـطوا الجزيـة بعـد التسليم للسلطة الاسلامية الحاكمة ، وعدم مقاتلتها والقاء السـلاح . وهذه الجزية المطلوبة هي ضريبة سنوية تتمثل في مقدار بسيط من المال يفرض على المقتدرين من الرجال دون سواهم ، وعلى هذا أجمع الفقهاء ، حيث جاء عنهم قولهم في الجزية إنها « إنما تجب بثلاثة أوصاف : الذكورية والبلوغ والحرية »[٣] .

فالجزية مطلوبة من الحر القادر ، ولذلك لم تستوف الجزية

---

(١) المائدة ، آية ٥٠ .

(٢) التوبة ، آية ٢٩ .

(٣) القرطبي ، محمد بن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ١ ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ٦ ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، ص ٤٠٤ .

من مسكين ، ولا من صاحب مرض مزمن ، ولا من مجنون أو مقعد ، ولا من ضرير أو ذي عاهة ، ولم تفرض على راهب أو امرأة أو صبيّ .

ووفقاً لهذه القاعدة فإن الجزية مأخوذ العمل بها من السنة النبوية الشريفة ، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من أهل البحرين بعد فتحها ، وكذلك حصل عند فتح تبوك من أرض الشام في السنة التاسعة للهجرة ، « فصالحه أهلها على الجزية وأتاه وهو بها يحنه بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار ، واشترط عليهم قِرَى من مرّ بهم من المسلمين ، وكتب لهم كتاباً بأن يحفظوا ويمنعوا »[1] .

والجزية التي هي بدل الخدمة العسكرية والزكاة المفروضين على المسلم ، توفر بشروطها أسساً للتعايش الاسلامي ـ المسيحي واضحة حدّدها الفقهاء حتى لا تبقى خاضعة لأهواء الحكام ، وقابلة للأخذ والرد . وشروطها عند الماوردي هي :

« أحدها : أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له .

والثاني : أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء .

والثالث : أن لا يذكروا دين الاسلام بذمّ ولا قدح فيه .

---

(١) البلاذري ، م . س ، ص ٧١ .

والرابع : أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح .

والخامس : أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دمه .

والسادس : أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يأووا أغنياءهم»[1] .

والشروط التي وضعها أبو يعلى الفرّاء لا تختلف عنها عند الماوردي الا زيادته بأنه من واجب الذمي « أن لا يأوي للمشركين عيناً ، أعني جاسوساً . ولا يعاون على المسلمين بدلالة . أعني لا يكاتب المشركين بأخبار المسلمين »[2] .

وإذا ما تم الالتزام بهذه الشروط ، عندها يتساوى المسلمون والمسيحيون في حقوق المواطنية ، وفي هذا أثر عن الامام عليّ كرّم الله وجهه قوله : « انما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤ هم كدمائنا » .

وإذا تجاوزنا موضوع مشروعية الجزية الى أسباب فرضها ، نرى بأنه من أول الأسباب أن الجهاد والدفاع عن البلاد أمر مفروض على المسلم ، ولا يحق له التخلف عنه . ولم يفرض الدفاع على المسيحيين في البدايات لأنه كان من أهداف الفتوحات الدعوة للاسلام ونشر الرسالة ، وهذا شأن خاص بالمسلم . أما إذا شارك المسيحي في قتال الأعداء لسبب أو آخر ففي هذه الحالة تسقط عنه الجزية . لأنه عندها يكون قد شارك في الأصل المسبب لفرض

---

(١) الماوردي ، ابو الحسن ، م . س ، ص ١٣٨ .

(٢) الفرّاء ، أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، سروبايا ـ اندونيسيا ، دار الفكر ، ط ٣ ، سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ، ص ١٥٨ .

الجزية . وفي هذا يقول عبد الكريم زيدان : « الجزية وضعت على الذميّين بدلاً عن حمايتهم من قبل الدولة الاسلامية ، لأن الاسلام لم يلزمهم بواجب الدفاع عن دار الاسلام كما الزم به المسلمين ، وإن كان لهم أن يساهموا في هذا الواجب باختيارهم فتسقط عنهم الجزية »[1] .

وهنا يتضح لنا بأن الجزية لم تفرض على المسيحي بسبب اختلافه في الدين مع المسلم ، وإلا كان من الواجب فرضها على كل المسيحيين ، بينما نرى وفق ما مر معنا سابقاً ، انها مفروضة على الذكر البالغ المقتدر وهي عينها شروط تنفيذ الخدمة العسكرية ، وأعفي منها من لا يستطيعون ممارسة أعمال القتال كالرهبان والنساء والصبيان وذوي العاهات .

والمسلمون بموجب عقد الذمّة تعهدوا بعقد أمان لمواطنيهم على أن يحموهم ، ويدفعوا الظلم عنهم من أية جهة أتاهم ، حتى لو كان ممن يشاركونهم الانتماء الديني . وإذا عجز المسلمون عن الوفاء بشروط العقد ، عندها يردّون الجزية للذين أخذوها منهم ، ويعدّ العقد ملغياً . وفي هذا الباب يروي المؤرخون : إن أبا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه عندما أعلمه نوابه على مدن الشام، بأن الروم البيزنطيين قد اجتمعوا يجهزون أنفسهم لمقاتلة الفاتحين العرب ، كتب أبو عبيدة الى عماله معطياً الأوامر لهم ، بأن يردّوا الجزية الى كل من أخذوها منه، وأمرهم بأن يقولوا لهم: انما رددنا أموالكم عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشروط ، وما

---

(١) زيدان ، د . عبد الكريم ، م . س ، ص ١٤٤ .

كتبنا بيننا وبينكم ، إن نصرنا الله عليهم .

ومن أسباب فرض الجزية على المسيحي ، إنه على المسلم مقابل ذلك فريضة الزكاة يؤديها عن كل انتاج زرعاً كان ، أم مواشي ، أم أموال ، أم معادن . . الخ . ومقدار الزكاة وفق مقاديرها المحددة يفوق كثيراً مقدار الجزية ، فزكاة المزروعات البعلية هي عشر الانتاج ، والمزروعات المروية نصف العشر ، وزكاة الأموال ربع العشر ، وزكاة الماشية والمعادن بالمقدار نفسه مع تمييزات بسيطة تتعلّق بأنواعها وأعمارها ، بينما الجزية كانت ديناراً ، أو أكثر قليلاً على الذكر البالغ الحر المقتدر في السنة .

وإذا كان المسيحي سيدفع المتوجب عليه عن يد وهو صاغر ، فحال المسلم في دفع الزكاة ليست اختيارية ، بل للحاكم وضع الحد على المسلم الذي يمتنع عن أداء فريضة الزكاة . ولعلّ المثال على ذلك حروب الردّة التي جرت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . ففي عهده رفض نفر من المسلمين دفع الزكاة ، معلنين أنهم يلتزمون بكل أركان وفرائض الاسلام ما عدا الزكاة . وبعد شورى وأخذ ورد أخذ الخليفة موقفاً مؤداه مقاتلة هؤلاء النفر الممتنعين عن دفع الزكاة حتى يعودوا عن موقفهم، ويفيئوا الى أمر الله . وكان قسمه الشهير : « والله لو منعوني عناقاً كانوا يدفعونه لرسول الله لقاتلتهم دونه » . وهكذا يكون على المسلم أن يدفع الزكاة عن يد وهو ملزم قسراً عنه بذلك تماماً كحال المسيحي في دفع الجزية ، وبذلك يتضح لنا أن رسالة السماء هي رحمة للعالمين ، فلا ظالم ولا مظلوم . وهنا يمكننا التلخيص بأن « الزكاة يلتزم بها المسلم دون الذمي ، والجزية يلتزم بها الذمي دون

المسلم ، والجهاد بما فيه الدفاع عن دار الاسلام واجب على المسلم دون غيره ، وإن كان يمكن للذمي أن يساهم في هذا الواجب ولكنه ليس مفروضاً عليه »[١] .

فالجزية بلغة العصر هي بدل الجندية ، وتسقط عن من يشارك في مهمة الجندية هذه ، وهي بدل الضريبة التي هي اسهام المواطن في المالية العامة للدولة ، أو الخزينة ، ليتحول ذلك الى خدمات للمواطنين ، ولحماية الوطن ، والجزية التي هي بدل الحماية ليس المقصود بها جانب الحماية الأمنية ، وإنما يضاف الى ذلك توفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي ، وتوفير المرافق العامة في ميدان الخدمات ، وبعد ذلك هل يصح أن يعدّ بعضهم الجزية ظلماً وقهراً ؟! .

وإذا كان بعض المغرضين يعد الجزية ظلماً فهل برأيه : أنه من العدالة أن ينال مواطن حقوقه في مجتمعه دون أن يؤدي واجباته بمقابل ذلك ؟ . فأي ظلم هذا ؟ وأهل الكتاب « لا يدفعون زكاة فتستبدل بضريبة أخرى تبدو فيما عرفنا أقل كلفة وأقل عبئاً من الزكاة وهي الجزية »[٢] .

وإذا كانت حجة بعضهم أن الذمية عقد مفروض على المسيحيين ، فإن ذلك المنهج في العلاقة التعاقدية ليس خاصاً بالمسيحيين ، بل المسلمون أنفسهم يبايعون ولاة أمرهم بعقد

---

(١) زيدان ، د . عبد الكريم ، م . س ، ص ٨٠ .

(٢) الزين ، حسن ، اهل الكتاب في المجتمع الاسلامي ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٦٣ .

واضح الشروط ، لذلك فإذا كان التعايش الاسلامي - المسيحي قائم على علاقة « تعاقدية تنبثق عن عهد الذمة الذي عرفه فجر الاسلام فليس في ذلك أية خصوصية أو تفريق أو احتقار ، أو دليل غربة اجتماعية طالما أن نظرية التفويض التعاقدية قائمة في أساس الحكم الاسلامي »(١) .

أما الادعاء الآخر عند بعض المزورين للتاريخ والحقائق فهو موضوع « الزيّ » واللباس ، وأن الإسلام قد فرض على المسيحيين لباساً خاصاً لاذلالهم ، وهنا نقول : إن كان حصل اساءات في بعض الأوقات ، فهذا لا يعني مطلقاً ، أن الإسلام قد أجحف المسيحيين .

وان تمحيصنا للكتاب والسنّة النبوية الشريفة يريانا أنه ليس يوجد ثمة اشارة الى موضوع « الزيّ » هذا ولم يسنّ فيه أي تشريع ، ولا أثر له في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . ونجد أن الأمر قد طلب زمن خلافة عمر رضي الله عنه ، لأنه في عهده بدأت حركة اتساع الفتوحات الى خارج الجزيرة العربية . ولأن الجند الفاتحين هم مجموع المسلمين المجاهدين الخارجين من الجزيرة ، ويرتدون زيّاً واحداً من اللّباس ، طلب من أهل البلاد الأصليين ، وهم من غير المسلمين ألاّ يقلدوا الفاتحين العرب المسلمين في زيّهم لضرورات أمنية ما زال معمولاً بها حتى يومنا هذا ، حيث تمنع كل الحكومات

---

(١) الزين ، حسن ، م . س ، ص ٥٧ .

والدول على رعاياها تقليد رجال الأمن والجيش في زيّهم ، ويوافق على ذلك الدكتور محمد عمارة فيقول : « ان الدعوة الى تمييز أهل الكتاب في الزي عن المسلمين تعني ألا يرتدي أحد ، من أهل البلاد ، زي الجند والجيش للضرورات الحربية والأمنية »(١) .

إن هذا الاجراء الاستثنائي المرهون في زمانه ، والذي أملته مصلحة أمن الدولة والجيش الفاتح ، له وجه آخر هو لصالح غير المسلمين ، لأن القاعدة الاجتماعية المعروفة « المغلوب يميل الى تقليد الغالب دائماً » . كانت ستشد أهل البلاد من غير المسلمين الى تقليد المسلمين في لباسهم مسايرة ، وفي ذلك تسرّع في التخلّي عن الخصوصيات الاجتماعية ، التي تمهّد للقضاء على الشخصية المميزة بشكل عام . ولنستقرىء ذلك في محاولات عديدة منها ما فعله « أتاتورك » في تغيير الأزياء في تركيا بعد اتجاهه الى العلمانية والقومية الطورانية ، وما فعلته وتفعله أوروبا من محاولات تأثير في الأزياء في المنطقة العربية ، والعالم الثالث كله ، والقاعدة في ذلك هي المثل الأوروبي « القميص يدل على القسيس » . ومفاد ذلك أن للمظهر أثر في السلوك والحركة ، وللقناعات والقيم انعكاس على مظهر الفرد والجماعة .

فالاختلاف في الزيّ لم يقصد به تمييز ديني وانما جانب أمني يتعلّق بالتفريق بين الجنود الفاتحين وسواهم ، أما اليوم وقد « تطورت المجتمعات العصرية ، واصطلحت على أن يكون للجند

---

(١) عمارة ، د. محمد، الاسلام والوحدة القومية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١١٠ .

زيّهم الخاص فليس هناك ما يدعو لقوانين تمايز في الزيّ بين أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين ، فالمواطنون المدنيون يخضعون في أزيائهم لما للمجتمع من عادات وأعراف وتقاليد ، وهم جميعاً ، على اختلاف المذاهب والشرائع والأديان يتركون التزيي بزيّ الجند لاعتبارات تقتضيها مصلحة الأمة »[1] .

أما ما يطرحه بعض الكتاب من تخوفات على المسيحيين مستندين بذلك الى ما اصطلح على تسميته « الشروط العمرية » والتي نشرت ملحقة بكتاب « أحكام أهل الذمّة » . لابن قيم الجوزية ، والذي حققه وقدم له د . صبحي الصالح ، فإن هذه الشروط لم يعثر عليها عند غير ابن القيم ، فإن مثل هذه الشروط لم يأت على ذكرها ابن جرير الطبري في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » المعروف بتاريخ الطبري ، ولا عرض لها البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » . والذي يحوي معظم الوثائق السياسية للفتوحات حتى عصره . مع العلم أن الطبري والبلاذري هما من المؤرخين الأول الذين سبقوا عصر ابن القيِّم بحوالي أربعة قرون أو أكثر .

أما الرد الثاني على الموضوع فهو تلك الصيغة التي جاءت فيها عند ابن قيم الجوزية ، حيث قال : بأنها شروط عرضها أهل البلاد على الخليفة ليوافقهم عليها ومن خلال رجل يدعى عبد الرحمن بن غنم ، لم نسمع له شأناً في قيادة حملات الفتح في بلاد الشام ، وهذا ما دفع د . صبحي الصالح في مقدمته للكتاب على القول : « الذي ينبغي ألا يفوتنا أن نصارى أهل الشام . . . وجهوا

---

(١) عمارة ، د . محمد ، م . س ، ص ١١١ .

كتابهم الى أبي عبيدة عامر بن الجراح والي عمر على الشام ، فما ندري بعد هذا كله ما عسى أن يكون عمل عبد الرحمن بن غنم في كتاب العهد . . »[1] .

وما يمكن قوله في هذا المجال هو ان كتب وعهود الأمان كانت تعطى من الخليفة ، او من ينوب عنه من الولاة ، او امراء الجيش ، الى اهل البلاد المفتوحة ، وهذا ما تؤكده الوثائق السياسية المحفوظة في كتب التاريخ ، فلماذا انفرد هذا العهد وعن هذه الشروط في ان يصيغه اهل البلاد ويرفعونه الى الخليفة ليوافق عليه ؟ وبعد ذلك كيف يوجه الكتاب عبر شخص غير معروف مع وجود قائد حملة فتح الشام ، ووالي البلاد بعد فتحها ؟ هذا مع العلم ان مثل هذه الشروط لا تتوافق مع ما اشتهر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن اهتمامه وحسن معاملته للكتابيين عامة ، وللمسيحيين خاصة . ومن ذلك ما مر ذكره آنفاً في هذه المقالة ، فكيف نقبل الادعاء بأن من رفض الصلاة في كنيسة القدس سيضيق على المسيحيين في عباداتهم وازيائهم ؟ . ومن امر للمجذمين بأن يعطوا من الصدقات كيف سيظلم المسيحيين لمجرد انهم مسيحيين ؟ وابو عبيدة الذي ردّ الجزية عندما شعر بأنه ربما يغلب من الروم ولا يستطيع الوفاء بعهد الحماية للمسيحيين ، وهل سينفذ سياسة القهر عليهم ؟ .

كما ان حقوق المسيحيين في المجتمع ذي الأكثرية الاسلامية مصانة بدءاً بحرية العقيدة التي تضمنها الآية الكريمة : ﴿ لا اكراه في

---

(١) الصالح ، د . صبحي ، مقدمة كتاب : ابن قيّم الجوزية ، الشروط العمرية ، ط ١ ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

الدين ﴾ . مروراً بالحرية المصانة بموجب النداء العمري : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً» .

وضمن كذلك للمسيحيين « حق التنقل في دار الاسلام والاقامة حيثما شاؤوا وارتياد الأماكن العامة »[1] ويضاف الى هذا الحق حرية العمل « ومباشرة النشاط الاقتصادي الذي يرغبون فيه ومزاولة العمل الذي يريدونه »[2] . ومن الحرمات المحفوظة كذلك للمسيحي كما المسلم ، حرمة المنزل الذي لا يجوز دخوله الا بعد استئذان صاحبه ، وهذا الحكم جاء في قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾[3] .

يضاف الى ما ورد ذكره انه للمسيحي كما للمسلم حرية التعلم والتجارة ، والزراعة ، والاجتماع ، الى غير ذلك من الحقوق والحريات العامة التي ليس فيها تجاوز لحدود الله تعالى ، والتي ليس فيها حرام او معصية ، لأن مثل هذه الأعمال ممنوعة على المسلم والمسيحي سواء بسواء .

٧ ـ المسلمون والاضطهاد الصليبي في الأندلس :

لقد افتتح العرب الاندلس (اسبانيا اليوم) في زمن الدولة

---

(١) زيدان ، د . عبد الكريم ، م . س ، ص ٩١ .
(٢) زيدان ، د . عبد الكريم ، م . س ، ص ١١٠ .
(٣) النور ، آية ٢٧ ، ٢٨ .

الأموية ، وكـان لهم فيها فضـل كبير حيث عـرفت في ظلهم ازهى عصـورها الحضـارية ، ومـا زالت اللمسات الحضـارية العـربيـة ـ الاسلامية ماثلة للعيان حتى اليوم .

ليس هذا فحسب وإنما لعبت الاندلس دوراً هاماً في النهضة الأوروبية كلها ، حيث مثلت دور البوابة التي عبّرت من خلالها كل المآثر العربية ـ الاسلامية في مختلف الميادين الى اوروبا . كما ان عدداً ممن تتلمذوا في الأندلس من رجالات اوروبـا الذين صنعـوا حضـارتها ، غيـر قليل . مـع ذلـك نـرى ان الأوروبيين وفي اثنـاء الحملات الصليبية الى البلاد العربية ، وبعدها ، قد خاضوا حرب ابادة ضد العرب والمسلمين ، وهذا ما انعكس انحطاطاً في الاندلس بنتيجة خروج العرب . ويؤكد ذلك « جان بول روو » الذي يقول : « لقد بدأ المسيحيون في اسبانيا بداية سيئة عندما ارادوا القضاء على الاسلام بقوة الحديد والنار ، ووصلوا في النهاية الى ما كانوا يخافونه الى طرد العرب»[١] .

كانت الحملات الصليبية ضد العرب والمسلمين في الاندلس حروب ابادة جماعية ، لم يعرف لها تاريخ الصراعات العسكرية بين فريقين مثيلاً حيث « كانت دولتا قشتالة واراغون تتسابقان في تعذيب المـدجنين الـذين ذكـرنـا انهم المسلمـون الخـاضعـون لحكـومـة الاسبانيول ، وملوك الدولتين يتبارون في الانتقام منهم والنكال بهم

---

(١) روو، جان بول ، الاسلام في الغرب، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ط ١ ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٩٦ .

استزادة للمثوبة واستعلاء في درجات الآخرة »[1] كما يعتقدون . وزادت سوء المعاملة عن ذلك حيث فرض على المسلمين علامات فارقة ، ومنعوا من العمل في الوظائف في الدولة وخاصة في قشتالة . فهل يوجد لمثل هذه المعاملة مثيل في تاريخ الأمة العربية ، او المناطق التي حكمها المسلمون ، في معاملة المسيحيين ؟ .

وكانت الاجراءات تزداد يوماً بعد آخر ضد العرب والمسلمين . فنرى مثلاً الكاردينال كسيميناس ظل وراء الملكة ايزابلا « حتى اصدرت امرها بإكراه المسلمين على احد الخطتين : الجلاء او النصرانية ، وذلك بأنهم كانوا يذكّرون المسلمين بأنهم سلالة النصارى في الأصل ، فاقفلت المساجد ، وأحرقت الكتب التي هي ثمرات القرون وزبد الحقب ، واذيق المسلمون العذاب اشكالاً والواناً »[2] . وكان من بين الاجراءات التي اتخذتها الملكة « ايزابلا » ، أن فرضت على المسلمين حكماً بموجبه « وضعت لهم علامات فارقة في الملبس ، من جملتها رقعة زرقاء عرضها أربعة أصابع لتمييز المسلمات »[3] .

بهذا الاسلوب العدائي بدأت الحملة الأوروبية ضد العرب والمسلمين ، وكان من ذلك تصديق الامبراطور (شرلكان) سنة ١٥٢٦م ، على الأوامر القاضية « بإكراه المغاربة على ترك البستهم المخصوصة بهم ولبس البرنيطة والسراويل الاسبانيولية ، وحظّر

---

(١) ارسلان ، الامير شكيب ، خلاصة تاريخ الاندلس ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١١٦ .

(٢) ارسلان ، الأمير شكيب ، م . س ، ص ٢٩٦ .

(٣) ارسلان ، الأمير شكيب ، م . س ، ص ١١٨ .

عليهم الغسل ودخول الحمام اقتداء بغالبيهم في احتمال الأقذار ، ثم منعوهم من التكلم بالعربية ، وصدر الأمر بأن لا يتكلموا بغير الاسبانيولي ، وبأن يغيروا اسماءهم . . . »[1] .

وكان سبق ذلك في سنة ١٤٩٩م ، وكي يطمئن الملك فرديناند ملك آراغون الى نجاح عملية محاربة العرب والمسلمين ان « اصدر قانوناً يقول بوضع الوسائل الضرورية للقضاء على الاسلام واستئصاله ، في أيدي « فرانسيسكو كسيمنس» و « فرناند دي تالافيرا » ، الأول اسقف طليطلة والثاني رئيس اساقفة غرناطة »[2] . وكان من اساليب الاستئصال هذه قرار الملك فيليب الثالث في سنة ١٦٠٩ م . بإخراج وترحيل مائة وخمسين الف مسلم من منطقة فالنسيا ، وتبع ذلك قرارات مماثلة في العام نفسه بشأن عرب ومسلمي غرناطة وقشتالة وغيرها . وتواصلت عمليات الاخراج القسري ، « ولم ينته اخراجهم تماماً الى سنة ١٦١٠ اذ وقع الجلاء الأخير ولم يبق في تلك البلاد مسلم بعد ان وليها الاسلام ثمانية قرون . . ومن خرج منهم . . يبلغ ثلاثة ملايين »[3] .

وهنا السؤال اين حضارة اوروبا ؟ والحريات المضمونة التي ترفع كشعارات بلا تطبيق ؟ . واين اجراءات حكام الغرب في الاندلس ، من عهود الامان التي اعطيت للمسيحيين في الارض العربية ؟ . وأين هم من رسالة الأوزاعي الى الوالي العباسي ؟ .

---

(١) ارسلان ، الأمير شكيب ، م . س ، ص ٢٩٧ .

(٢) روو ، جان بول ، م . س ، ص ٩٥ .

(٣) ارسلان ، الأمير شكيب ، م . س ، ص ٢٩٩ .

وأين هم من تلك الحرية التي عاشها المسيحيون في بلادنا يتساوون في حقوق المواطنية مع المسلمين كما مرّ معنا ؟ .

والحديث يطول إذا أردنا التحدث عن الروح العدائية التي حملها الأوروبيون للمسلمين بلا مبرر حيث صودرت أراضيهم وفرض عليهم الدين المسيحي في بعض الولايات الروسية أمثال كازان والقفقاس في القرن التاسع عشر(١) .

اما عن ما حصل في الجزائر ابّان الاحتلال الفرنسي لها فحدّث ولا حرج ، وكذلك في سائر البلاد التي دخلوها مستعمرين . هذا مع العلم ان الحكومات الأوروبية كانت لا دينية ، ومع ذلك كان نمط تعاملها مع العرب والمسلمين صليبياً متستراً بالدين .

ومن أمثلة التستر تلك الفتن الطائفية التي فجرت في جبل لبنان بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٦٠ ، وكانت بتشجيع بريطاني وفرنسي ، ضمن السياسة الاستعمارية « فرق تسد » .

وما نراه اليوم من نزاعات طائفية ، الدين منها براء ، ليست الا صنيع اسرائيل ودوائر الاستعمار التي اعتمدت هذه الوسيلة لتحقيق اغراضها في اقامة الكيانات الطائفية المذهبية ، التي لن يكتب لها الاستقرار ، ولا توجد فيها امكانية الاستمرار .

لقد آن الأوان لكي يتنادى الجميع الى وحدة وطنية قاعدتها الكلمة السواء بينهم ، بأن يعبدوا الله تعالى وحده ، الذي يبرأ من كل من يفسح في المجال لاعداء الله واعدائنا بأن يحققوا ما يريدون على حساب حقوقنا وكرامتنا .

---

(١) يراجع : روو ، جان بول ، م . س ، ص ١٢٩ وما بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للّذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

الفصل الثالث

الصهيونية في الميزان العقدي

الصّهْيُونية في الميزان العقيدي

١ ـ بين المصطلح والعقيدة في الصهيونية

ان المصطلح له مدلوله العقيدي عند الصهيونية ، وهو معتمد بمثـابة واحـد من مقومـات وحدة الصهـاينة ، وواحـد من مميزات الشخصية عندهم .

من المصطلحات التي يستخدمونها ولها عندهم دلالة واحدة لفظة اسرائيل التي تعني الاسم الثاني ليعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السـلام . ولقـد قـامت عنـدهم دولـة تحمـل هـذا الاسم « اسرائيل » عام ٩٢٣ق . م ، كانت الشطر الثاني للملكـة يهوذا ، وسقطت هذه الدولة عام ٧٢٢ق . م . على يد الاشـوريين . واذا كانت تسمية اسرائيل قد عادت الى الظهور مع الاستعمار الذي حصل لفلسطين في العصر الحديث ، فما ذلك إلاّ لأن هذه التسمية تحمل في طياتها عنصر التحدي والتمرّد ، وتزرع في عقول أبناء هذه الدولة فكرة التفوق ليس على البشر فحسب ، وإنما هم كما يدّعون أحفاد اسرائيل (يعقوب) الذي تروي عنه التوراة انه تصارع مع الله « تعالى عمّا يدّعـون » الليل بـطوله ، فعجـز الله تعالى كمـا يزعمـون عن يعقوب ، وحتى عن التخلص منه ، فترجى الرب يعقوب كي يطلقه ،

فقال له الرب مستعطفاً : « اطلقني لقد طلع الفجر » .

فقال له يعقوب : لا أطلقك إن لم تباركني . . فباركه الرب ، وسماه إسرائيل التي تعني عندهم « القوة ضد الله »[1] .

والى هذه الرواية المزعومة اشارت الآية الكريمة : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾[2] .

ان التسمية « اسرائيل » مصطلح يحمل في تحريفات اليهود معنى القوة والتحدي حتى لمن هو اكبر من البشر ، وأحفاد من صارع الرب في زعمهم بإمكانهم ان يصارعوا كل واحد من البشر . وهنا جاء الرد في الآية الكريمة على ادعائهم الذي يعبر عن سطحية في فهم الأمور ، فنزلت عليهم لعنة الله بسبب زعمهم هذا ، وبسبب سعيهم في الافساد الذي هو جبلة تعودوها ، وسلوك الفوه ، فبات من مقومات وجودهم .

ولفظة « اليهود » التي تعني كل المنتسبين الى اليهودية بصرف النظر عما بينهم من تباين في الأوطان واللغات والاجناس ، فيقصدون بها ايضاً الانتساب إلى يهوذا الابن الرابع للنبي يعقوب ، وتدلّ سياسياً على مملكة يهوذا التي استمرت حتى عام ٥٨٦ق . م . وأساس التسمية من الناحية الدينية قول الله تعالى : ﴿ إنّا هدنا

---

(١) يراجع بذلك :

مغنية ، محمد جواد ، اسرائيليات القرآن ، بيروت ، دار الجواد ، ط ١ ، سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

اليـك ﴾ أي تبنا اليـك . ونقول تهـوّد فلان : اي تـاب ورجع الى الحق[١] .

ولفظة « عبرانيون » و « عبريون » هي تسمية كان يطلقها سكان فلسطين القدماء الكنعانيون على آل إبراهيم عليه السلام النازحين من منـاطق نهر الفـرات ، وأخذوا هـذه التسمية للتعبيـر عن تـرحـالهم القسـري او الإرادي من مكـان الى آخـر دون ان يتقيـدون بـإقليم معيّن[٢] . ولا يزالون يدّعون العبرانية بمعنى الانتماء الى السامية مع ان حقيقتهم تخالف ذلك ، مما يعطينـا مؤشراً على ان المصـطلح عندهم له مدلوله السياسي المرتبط بتطلعاتهم الاستعمارية ، وليس له مدلوله الديمغرافي الدقيق .

ولفظة « الصهيونية » هي اشارة الى جبل صهيون ، وهو منطقة من القدس في فلسطين ، وتعني لفظة صهيون ، الأرض المقدسة ، او أرض الميعاد التي يعمل اليهود للعودة اليها كما كانوا يـدّعون ، وهي قضية مصطنعة جعلوا منها جزءاً من العقيدة عند اليهودي ، وما ذلك إلاّ لأنها تناسب أهدافهم الاستعمارية الاستيـطانية ، حيث لا يوجد ثمة ارتباط تاريخي لهم بجبل صهيون . بينما تشيـر المصادر التاريخية الى قدم سكنى العرب فيه . فإنه قد نزح الى القدس « قبيلة

---

(١) يراجع بذلك : بـدوي ، د . محمد طـه ، وآخرون ، المجتمـع العربي والقضيـة الفلسطينية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٤٠ .

ويراجع بذلك : طبارة ، عفيف عبد الفتاح ، اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٩ ، سنة ١٩٨٢ ، ص ١١ ، ١٢ .

(٢) يراجع : بدوي ، د . محمد طه ، وآخرون ، م . س ، ص ٣٣٩ .

اليبوسيين ، وهي من القبائل الكنعانية العربية ، وقد حطت رحالها على الجبل المعروف باسم صهيون سنة ٢٥٠٠ق . م . بزعامة شيخها سالم اليبوسي ، وهذه القبيلة العربية هي التي وضعت اول لبنة لمدينة القدس »[١] .

تعطي المصطلحات الآنفة الذكر فكرة واضحة على ان الحركة الصهيونية تحاول بواسطتها ربط كل شيء بفلسطين ، وايجاد المبرر الديني أو التاريخي له ، لتكون هذه التبريرات فلسفة استعمارية متأصّلة في عمق تفكيرهم . وعلى سبيل المثال يحولون اسم كل اسرائيلي الى لفظ عبري مع ان غالبية المستوطنين في ارض فلسطين لم يتعرفوا على اللغة العبرية ، ولا هم من الساميين آل ابراهيم عليه السلام .

٢ ـ اليهود ليسوا ساميون

انه بات من الواضح « ان من يزعمون أنفسهم يهوداً من ذوي الأرومة الاوروبية الشرقية . . . هم تاريخياً يتحدّرون . . من سلالة الخزر . . ذلك الشعب الوثني القديم . . . الذي شقّ طريق كفاحه بحروب دموية في حوالي القرن الأول قبل الميلاد نحو أوروبا الشرقية ، حيث اقام مملكة الخزر . . في حوالي سنة ٧٢٠م ، اصبحت مملكة الخزر الوثنية تشكل شعب من يزعمون انفسهم يهوداً كما اضحى الملك بولان (Bulan) اول ملك للخزر ، في السنة ذاتها ، يُدعى يهودياً بالتحول والاعتناق ، وكرس دين الملك بولان

---

(١) مغنية ، محمد جواد ، م . س ، ص ١٩٧ .

الجديد بعد ذلك ديناً رسمياً لمملكة الخزر »[1] .

بعد ثلاثة قرون استطاعت امارة روس ان تستولي على مملكة الخزر البالغة مساحتها ٨٠٠ الف ميل مربع ، وزال آخر أثر لهذه المملكة المجاورة لبحر قزوين عن خارطة اوروبا في القرن الثالث عشر للميلاد . وبعدها دخلت الامبراطورية الروسية في صراعات مع جاراتها من الدول الأوروبية الناشئة ، وخسرت بعض الحروب فأجبرت على التنازل عن مساحات من الأراضي التي كانت تشكل مملكة الخزر ، و« نلاحظ بنتيجة هذه العملية التاريخية ، ان ليتوانيا ، غاليشيا ، بولندا ، هنغاريا ، وغيرها من دول اوروبا الشرقية . . قد اكتسبت مناطق من اراضي مملكة الخزر سابقاً ، مع ان سكانها الكثر ممن يزعمون انفسهم يهوداً ، المنحدرون تاريخياً من سلالة الخزر »[2] .

ان المنحدرين من سلالة الخزر « يشكّلون اكثر من ٩٢ بالمائة من جميع من يسمون انفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم »[3] . وهؤلاء لم تطأ أقدامهم ارض فلسطين ولا هم عبريون ، او من سلالة النبي يعقوب (اسرائيل) . ان هؤلاء الخزريون (اليهود الجدد) قد انتشروا « وهم من الجنس السلافي وليس السامي في شرق وغرب اوروبا ثم في امريكا . وهؤلاء هم الذين يدّعون اليوم

---

(١) فريدمان ، بنيامين ، يهود اليوم ليسوا يهوداً ، اعداد زهدي الفاتح ، بيروت ، دار النفائس ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) فريدمان ، بنيامين ، م . س ، ص ٤٤ .

(٣) فريدمان ، بنيامين ، م . س ، ص ٤٤ .

(العبرانية) كسند ايديولوجي لغزو فلسطين العربية »[1] .

٣ ـ اليهود والغيتوات

ان هؤلاء اليهود الجدد عندما انتشروا في مختلف دول اوروبا وامريكا ، وبحكم الانتماء العقيدي المحرّف الذي يغلّف لهم الأهداف السياسية المتسمة بطابع التعالي على الآخرين ، بمعتقدات دينية ، حافظوا على تكوين مجتمعي خاص بهم هو ما عرف بنظام الاحياء المغلقة (الغيتو) . فإنهم ، بعد توزعهم ، قد « اقاموا دولة في داخل دولة ، ذات تنظيم جيد دقيق ، وقاوموا علاوة على ذلك ، جميع محاولات استيعابهم ثقافياً في داخل الشعب الذي يعيشون معه »[2] .

لقد اقام اليهود في كل بلد تواجدوا فيه احياء هم الخاصة ، وكان لهم فيها نظامهم الخاص الذي يتلخّص في ان الواحد منهم لم يعرف في تاريخه ما يمكن تسميته بولاء وطني او قومي ، وإنما الولاء كله لنمط عقيدي ساهم في ترسيخه مجمل مصادر ثقافتهم وفي مقدمتها التوراة والتلمود .

لقد تربى اليهودي على العداء لمن حوله ، من بشر وديانات ، وهو العنصر الممتاز بالنسبة لهم الذي لا يجوز ان يخالطهم او يرعى لهم عهداً او ذمة ، بل كل ما لهم وما عندهم يجب ان يكون مستباحاً له ، من أجل ان يستطيع السيطرة في المستقبل على الغوييم (غير

---

(١) بدوي ، د . محمد طه ، وآخرون ، م . س ، ص ٣٤٠ .

(٢) فريدمان ، بنيامين ، م . س ، ص ٤٢ .

اليهود) لتحقيق حلمه في المملكة العالمية ، والتي يعدّ بيت المقدس منطلقاً اليها ، وفي هذا نسمع قولهم : « لن يكون اليهودي ، تحت اي ظرف ، صديقاً للمسيحي او المسلم قبل ان تحين اللحظة التي يشع فيها نور الايمان اليهودي على العالم . . . ينبغي ان تنتشر التعاليم اليهودية في العالم بأجمعه . وكيفما قادنا القدر وبالرغم من تشتت شملنا في جميع انحاء الارض يجب ان نعتبر أنفسنا العنصر المجتبى . . . لقد حان وقت جعل بيت المقدس مكان عبادة لكل الامم والشعوب ، وسترتفع راية التوحيد اليهودي خفاقة في اكثر الشواطىء بعداً »[١] .

ان اليهود حرفوا النصوص الدينية عندهم حتى غدت ذات نسيج مصطنع تربّي الصهيوني من اجل ممارسة دور استعماري ، وبذلك عطلوا أحكام شريعة الله في سلوكهم ، وافتروا الكذب والخداع الاسرائيلي واعطوه لباساً دينياً ، الدين منه براء . وباتت غاية الشريعة المصطنعة عندهم « تنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً على اعدائهم من « الغوييم » . والشريعة تركّز تركيزاً خاصاً على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضدّ أعدائهم التقليديين »[٢] .

---

(١) المورننع نيوز (لندن) ، ٦ أيلول ١٩٢٠ ، نقلاً عن :
سبيريدوفيتش ، شيريب ، حكومة العالم الخفية ، ترجمة مأمون سعد ، تحرير وتقديم احمد راتب عرموش ، بيروت ، دار النفائس، ط ٥ ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) التوراة ، تاريخها وغاياتها ، ترجمة وتعليق سهيل ديب ، بيروت ، دار النفائس ، ط ٤ ، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٣٣ .

ولأن الخلق كلهم عيال الله ، ورسالة السماء جاءت لنقلهم من الظلمات الى النور ، ومن البغضاء الى التراحم والتحابب ، لذلك ليس من المعقول ان تمت بصلة للدين تلك المفاهيم الصهيونية ، بل هي تنظيم عدواني ضدّ كلّ غير اليهود يلبسونه رداء الدين .

ولذلك يمكن القول : بأن اليهود مع الزمن حوّلوا الدين الى « دين قتالي حربي يلبس لبوس النعاج لاخفاء نواياهم المكيدية ، وهكذا فإن اعتداءاتهم الوقحة غير المسبَّبة . . . تبرّر دينياً ، وكذلك فإن كل سرقاتهم ، وجرائمهم ، وكذبهم لها مبرراتها الاخلاقية . . . وما نحن سوى النعاج (الغوييم) والذئاب (الفريسيون) ما فتئوا يؤكدون لنا ان واجبنا الاخلاقي هو ان ندعهم يفترسونا ، فالإبادة الجماعية للغوييم هي أقصى درجات الاخلاق لدى اليهود »[1] .

وإذا كان اليهود في اوروبا قد ضخّموا ظاهرة ما سمي « باللاسامية » وبأن العداء ضد اليهود من أجلها مستفحل في المجتمع الأوروبي ، وانهم اضطهدوا لهذا السبب ، ودفعوا الثمن غالياً ، فإنه من المفيد القول : بأن نظام « الغيتوات » الصهيونية كان يفرض على قادة اليهود اصطناع الأحداث ، وتضخيم الشائعات حول موضوع اللاسامية ، لكي يحافظوا على الانغلاق اليهودي ، ويظهروا انفسهم بمظهر المظلوم الذي يستحق العطف والمساعدة . ويدلّنا على ذلك الاستثمار الناجح لكل حادثة مهما صغرت لكي تصبّ في الهدف البعيد لليهود ، وبذلك يلاحظ انه وكلما تعرض اليهود لحادثة ذات صدى دولي خرجوا منها بأكبر الغنائم ، لما لتصرفهم خلالها

---

(١) التوراة ، تاريخها وغاياتها ، م . س ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

وبعدها من الذكاء والدهاء ، مما دفع العديد من الكتّاب ، وكثيرين من اليهود ، الى الجزم بأن زعماء اليهودية العالمية كانوا يغذون بعض الحركات المعادية للسامية ، ان لم نقل كلها ، لينالوا منها اكبر الغنائم ، ولكي يبقوا سيطرتهم كاملة على اليهود »[١] .

ولكي يحفظ اليهود تماسك جماعتهم ، ويقنعوها بتزويراتهم وتلبيساتهم التي يأنف اي دين حنيف منها ، فإنهم أخرجوا الى حيز الوجود « التلمود » الذي ادعوا بأنه مجموعة قوانين شفوية مروية عن النبي موسى عليه السلام ، كان الحاخامات يتناقلونها سراً ، ولكنهم بعد الذي تعرضوا له في فلسطين قديماً نتيجة غيّهم وتطاولهم ، حملهم على تدوين هذه الأحكام التي تحمل في طياتها كل معاني العنصرية لغير اليهود ، وخاصة المسيحيين ، وإذا بالتلمود يصبح وسيلة تثقيفية تساعد الفريسيين على تربية متّبعيهم على منهج فيه كل الاستعلاء على الآخرين ، وفيه الحقد على كل من هو غير يهودي ، وفيه الاستباحة التامة لغير اليهود . وهذا التلمود له مكانة تشريعية عندهم لم يرق اليها الشك من قبلهم ، لذلك فقد « كان القانون المكتوب الموسوي والشفهي الحاخامي يعتبران مماثلين في الأحكام عند اليهود الذين لم يفرقوا بينهما أكثر من التسمية الحرفية »[٢] .

إن الاطماع الاستعمارية عند اليهود ـ الصهاينة ـ يعبّر عنها التلمود أحسن تعبير ، لذلك يمكن التأكد انها موضوعة من قبلهم ،

---

(١) التوراة ، تاريخها وغاياتها ، م . س ، ٦٨ .

(٢) خان ، ظفر الاسلام ، التلمود ، تاريخه وتعاليمه ، بيروت ، دار النفائس ، ط ٤ ، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٣٠ .

ولا علاقة لها بموسى عليه السلام ، وحاشا لنبي أن يصدر عنه مثل هذا الكلام الذي يحمل كل معاني العدوان والاحتقار لـلآخرين . والمرجّح أن اليهود الذين فشلوا في فرض نفسهم ، وهم قلة منبوذة ، وبسبب تصرفاتهم فرض عليهم التشتيت والطرد ، بدأوا يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة ، ووجدوها في التلمود الذي يعلمهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيداً لاقامة امبراطورية عالمية .

تُطلِع النظرة الأوليـة على تعاليم « التلمـود » أيَّ انسان على خطورة التربية التي يترباها اليهـودي الذي يعـود الى اصول سـامية وهؤلاء قلة ، فكيف بأثر تلك التربية في يهـود الخزر الجـدد وهم الذين يعرفون (بالاشكناز والاسفارد) ، الذين تعرفوا على اليهودية منذ البداية من خلال التلمود وما فيه من عنصرية .

٤ ـ اليهود والمسيحية

فلقد جاء فيه بأن اليهودي وحده هو الواجب احترامه ، وما عداه فالكل يجب ان يكونوا في خدمة هذا اليهودي ، دون التعامل مع غير اليهود لأن ذلك انتقاص من قيمة اليهودي ، فمن تعاليم التلمود :

١ ـ على اليهودي ان لا يحيي مسيحياً .
٢ ـ على اليهودي ان لا يمثل امام قاضٍ مسيحي .
٣ ـ لا يجوز قبول مسيحي شاهداً امام القضاء .
٤ ـ لا يجوز لليهودي ان يأكل طعاماً مسيحياً »[١] .

---

(١) للتفصيل يراجع : برانايتس ، الأب آي . بي ، فضح التلمود ، اعداد زهدي =

لهذا نرى بأن حملة الباباوات في اوروبا كانت بشكل أساسي على التلمود لما يتضمنه من وقاحة حتى في التطاول على السيد المسيح عليه السلام ، وامه العذراء وكل الرموز الدينية المسيحية . ويؤكد ذلك ما تعرض له التلمود من حملات وعمليات احراق لأكثر من مرة وفي اكثر من بلد اوروبي ، فلقد صدرت الأوامر بإتلاف نسخه ومنها « ان ٢٤ عربة محملة بالكتب العبرية أحرقت في باريس عام ١٢٤٢م في يوم واحد . وهاجم مجلس المدينة في بولندا عام ١٨٤٠م التلمود بأنه مصدر افتقار اليهودية للدين المسيحي »[١] .

ومن هذه الحملات اتلاف نسخ التلمود بفرنسا سنة ١٢٦٦م ، وفي انجلترا سنة ١٢٩٠م ، « وفي سنة ١٥٦٥م اصدر البابا بيوس الرابع امراً : بأنه يجب حرمان التلمود حتى من مجرد اسمه . وقد قام البابا جريجوري الثالث عشر (١٥٧٥ ـ ١٥٨٠م) بحملات جديدة ضد التلمود . . . وبسبب القدر الذي كان ينتظر التلمود في كل مكان لم يبق منه الا عدة مخطوطات قديمة »[٢] .

انه لأمر طبيعي ان يتعرض التلمود لذلك وهو التشريع الذي يبيح لليهود أخذ اي شيء يخص غير اليهود ويتمادى واضعو التلمود أكثر ليوردوا فيه بأن « الأضحية الوحيدة الضرورية ، بعد هدم الهيكل في القدس ، هي افناء المسيحيين . . . الذين يقتلون المسيحيين

= الفاتح ، بيروت ، دار النفائس ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ١١٢ وما بعدها .

(١) خان ، ظفر الاسلام ، م . س ، ص ٤١ .

(٢) خان ، ظفر الاسلام ، م . س ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

سيحتلون مكاناً سامياً في الجنة »[1] . وهذا الكلام الذي يقوله التلمود عن المسيحيين هو نفسه سيعامل به المسلمون ، وبعد ذلك فليس غريباً ان نرى بأن القرآن والإنجيل قد وصما اليهود بأنهم أعداء الانسانية ، فتعاليمهم التلمودية وسواها ، وسلوكهم عبر التاريخ في مواجهة الانبياء والرسل ، وبعدها في مواجهة كل مؤمن وحتى كل آدمي يعطي الحقيقة الناصعة عن وضعهم المريب والخطير .

ان من قست قلوبهم من بني اسرائيل فرفضوا الامتثال لأمر الله تعالى وشريعته المنزلة وباءوا بغضب منه ، حاربوا المسيحية والمسيح عليه السلام منذ اللحظة الأولى للولادة ، لأن ما سيأتي به سيفضح زورهم وبهتانهم فنسمع بأن مليكهم هيرودوس عندما عرف بمولد المسيح عليه السلام قد ارسل عماله يعملون القتل في جميع أطفال بيت لحم وتخومها ، من ابن سنتين فما دون ، ولم يعد يوسف بالطفل وأمه من مصر الا بعد ان أتاه الأمر : « قم وعد بالطفل وأمه الى أرض اسرائيل ، لأن الذين كانوا يطلبون حياة الطفل قد هلكوا »[2] .

وبسبب الحقد الدفين ، والتزام الباطل من قبل بني اسرائيل فإن الله قد غضب عليهم ، وبشرهم على لسان رسوله المسيح عليه السلام ، بخراب هيكلهم الذي يدّعون الحرص عليه ، مع ان تمسكهم هذا ليس لاسباب دينية ، وإنما اصطناع لرمز يشكل نقطة جذب بالنسبة لهم ، ومصدر تحريك لتطلعاتهم في السيطرة والاستعمار .

---

(١) برانايتس ، الأب آي . بي ، م . س ، ١٤٧ .
(٢) انجيل متى ، الفصل الثاني ، آية ٢٠ .

فلقد جاء على لسان السيد المسيح عليه السلام : « يا اورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة اردت أن أجمع بنيك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا . هوذا بيتك يترك لكم خراباً »(١) . « الحق أقول لكم : لن يترك حجر على حجر الا ويهدّم »(٢) .

ولقد كاد اليهود للمسيح عليه السلام كل مكيدة كعادتهم مع كل الأنبياء والرسل ، وفتنوا ضده ، وحاولوا تسفيه تعاليمه ، وعندما فشلوا في ذلك حاولوا ايذاءه شخصياً ، عندما كثر اتباعه وخافوا على نفوذهم ، استخدموا لذلك العمالة والدسائس ، وبعد اجتماع كبار كهنتهم في منزل احدهم ويدعى « قيافا » وقرارهم بإيذاء السيد المسيح عليه السلام ، خططوا لذلك معتمدين على احد الاثني عشر الذين كانوا التلاميذ المقربين للمسيح عليه السلام .

وفي ذلك جاء في الانجيل : « ومضى احد الاثني عشر ، الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي ، الى عظماء الكهنة وقال لهم : ماذا تعطوني أن أسلمه اليكم ، فوزنوا له ثلاثين من الفضة ، ومن يومه كان يتحين الفرصة السانحة ليسلمه »(٣) .

بهذه النية العدوانية الشريرة واجه اليهود المسيح عليه السلام وهم ممن نزلت اليهم الرسالات وجاءهم الرسل والانبياء تترى،

---

(١) انجيل متى ، الفصل ٢٣ ، آية ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) انجيل متى ، الفصل ٢٤ ، آية ٢ .
(٣) انجيل متى ، الفصل ٢٦ ، آية ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

فكيف بنا باليهود الجدد مجهولي الاصول ، والذين تعرفوا منذ بداية عهدهم باليهودية على تعاليم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ؟

فاليهود الذين حاربوا المسيح عليه السلام شرعوا في تلمودهم العداء لكل مسيحي ولكل من هو غير يهودي كما مر معنا سابقاً ، وتأسيساً على ذلك اليس من الغباء ان يراهن واحد من الناس على ان الصهاينة سينصرونه ؟ .

في أوروبا وبعد الحملات التي تعرّض لها التلمود والمؤمنون بما جاء فيه ، وعندما يئسوا من المواجهة المباشرة انتقلوا الى الحيلة والايقاع بالآخرين مستغلين لذلك كل سبيل . ولعل المذهب الميكافيللي : « الغاية تبرّر الواسطة او الوسيلة » ، يعبّر خير تعبير عن تلك الفكروية الصهيونية المتأصلة في ذات كل يهودي .

لقد اضطر اليهود بعد أن حالت بهم الحال الى اعتماد النفاق الذي يشكل واحداً من مقومات الفكروية الصهيونية ويظهر ذلك في الأمر اليهودي الصادر عن المجمع اليهودي العالمي في القسطنطينية ، وذلك سنة ١٨٤٩ جواباً على كتاب « شامور » وهو حاخام يهودي فرنسي ، والذي أرسل لهم يستفتيهم في السلوك الواجب اتباعه حيال الاجراءات المتخذة بحق اليهود ، وجاء في جوابهم ما يلي :

« يا أيها الأخوة الاعزاء بموسى ، تلقينا كتابكم وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا ، فكان وقع الخبر علينا شديد الوطأة ، اليكم رأي الحاخاميين والربّانية :

تقولون : أن ملك فرنسا يجبركم على اعتناق الديانة

المسيحية ، فاعتنقوها ، لأن ليس بوسعكم أن تقاوموا ، ولكن يجب عليكم ان تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم .

وتقولون : انهم يأمرونكم بالتجرد من أموالكم ، فاجعلوا أولادكم فجاراً ، ليتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين من املاكهم .

وتقولون : انهم يعتدون على حياتكم ، فاجعلوا اولادكم اطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم .

وبمقتضى قولكم : انهم يهدمون معابدكم ، فاجعلوا اولادكم كهنة واكليريكيين ليهدموا كنائسهم .

وبمقتضى قولكم انهم يسومونكم تعديات أخرى ، فاجعلوا اولادكم وكلاء دعاوي ، وكتّاب عدل ليتدخلوا دوماً في القضايا الحكومية ، ويخضعوا المسيحيين لنيركم ، فتستولون على زمام السلطة الحالية ، وبذلك يتسنى لكم الانتقام .

سيروا بموجب هذا فتتعلمون بالتجربة انكم من مذلتكم وضعتكم تتوصلون الى ذروة القوة والعظمة »[1] .

ان هذا الاسلوب النفاقي ضد المسيحية كان يستعمله اليهود في ازمنة الضعف ، اما في عهود قوتهم ، فلقد كانوا يستعملون كل اشكال التنكيل ، ويستعملون القتل والابادة الجماعية ، أو ما يعرف

---

(١) النص منقول عن :

الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة، مكايد يهودية ، بيروت ، دمشق ، دار القلم ، ط ٤ ، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

بلغة العصر باسم المجازر التي لا ترعى حرمة ولا عهداً ، فالقتل الجماعي في مجازر ليس حديثاً عند الصهاينة فليست بدايته في دير ياسين ، ولا نهايته في صبرا اوعين الحلوة ، وانما يلاحظ بأن المسألة متأصلة في سلوك الصهيوني ضد الغوييم الذين هم بنظره حيوانات بصور آدمية ، لذلك لا مانع عنده من ابادتهم اذا ما وجد فيهم خطراً عليه ، وليس محظوراً عنده ان يستخدم معهم أبشع انواع القتل .

ولعل قصة نصارى نجران الذين أحرقهم اليهود إحراقاً جماعياً في الأخدود وهم أحياء يرزقون ، ليست بغائبة عن ذهن احد ، والتي أثبتت بما لا يرقى اليه الشك في وحي الله تعالى المنزل في سورة البروج ، التي توضح ان لا سبب لهذه العدوانية سوى ايمان هؤلاء النصارى بالله تعالى ، ولذلك فإن الله تعالى توعد اليهود بجهنم يصلونها على فعلهم هذا ، وانتصاراً لمن قُتلوا مظلومين .

وفي ذلك جاء قول الله تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * اذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد * وان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾[1] .

دفعت هذه العدوانية على نبذ اليهود في كل اوروبا ، لأنها

---

(١) سورة البروج الآيات ١ ,٠٠٠٠ ,١٠ .

ليست شذوذاً عند بعضهم بل عقيدة تربوا عليها في كتبهم التي ادعوا لها مظهراً دينياً . وكان العقاب انه في « عام ١٣٠٦طـردت فرنسـا اليهـود ، وتبعتها سكسـونيا عـام ١٣٤٨ ، وهنغاريـا عام ١٣٦٠ ، وبلجيكـا عـام ١٣٧٠ ، وسلوفـاكيـا عـام ١٣٨٠ ، والنمسـا عـام ١٤٢٠ »(١) .

« وقد طرد اليهود من ليتوانيا عام ١٤٩٥ ، ومن البرتغال عام ١٤٩٨ ، ومن ايطاليا عام ١٥٤٠ ، ومن بافاريا عام ١٥٥١»(٢) .

ان القول الفصل في عقيدة الصهيونية ، وسلوك اليهود تجاه كل مؤمن ، هو ما جاء في الآية الكريمة : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ﴾(٣) .

٥ ـ اليهود في مواجهة الدعوة الاسلامية

بعد الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ، وكان يقيم يومها في المدينة وجوارها عدد من اليهود من قبائل متنوعة ، كانوا اصحاب نفوذ مالي ، وسعاة فتنة بين قبائل المدينة من العرب ، حتى يبقى زمـام الأمور في يدهم . وعندما وطئت قدما الرسول صلى الله عليه وسلم أرض المدينة أراد ان ينظم العلاقة معهم ويعاملهم كأهل كتـاب ، فكانت الصيغة المكتوبة المشتـركة التي عـرفت باسم الصحيفـة او الكتاب ومما جاء فيها : « لليهـود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم

---

(١) غاي كار ، وليام ، احجار على رقعة الشطرنج ، ترجمة سعيد جزائرلي، بيروت ، دار النفائس ، ط ٤ ، سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٥٨ .

(٢) غاي كار ، وليام ، م . س ، ص ٦٠ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٨٢ .

وأنفسهم الا من ظلم او اثم فإنه لا يهلك الا نفسه وأهل بيته » . ولكن كيف لليهود ان يرعوا عهداً ، او يمتنعوا عن ظلم واثم وقد نصت على ذلك عقائدهم التلمودية وبات ذلك متأصلاً فيهم ؟ !

وبناء على قاعدة

«لكل امرىء من دهره ما تعوّدا »

نقرأ في التاريخ الاسلامي مخالفة اليهود للميثاق ، وكيف لا يخالفونه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد خالفوه مع الله تعالى ومع الرسل والانبياء ؟ . فنعرف انه عندما « اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من يهود ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأسيد بن حضير ، فاستعانهم في دية رجلين من بني كلاب بن ربيعة موادعين له كان عمرو بن أمية الضمري قتلهما ، فهموا بأن يلقوا عليه رحى فانصرف عنهم وبعث اليهم يأمرهم بالجلاء عن بلده اذ كان منهم الغدر والنكث »(١) .

ومن لم يحاول اغتيال النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، آزر الكفار ضده في المعارك التي كانت تحصل . فلقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر « بني قريظة لليال من ذي القعدة وليال من ذي الحجة سنة خمس فكان حصارهم خمس عشرة ليلة ، وكانوا ممن أعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق »(٢) .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ٣١ .

(٢) البلاذري ، م . س ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

عندما يئس اليهود من إمكانية المواجهة المباشرة مع المسلمين حاولوا الايقاع والفتنة ، وعملوا على تفريق صف من اصبحوا بنعمة الله اخوانا . ومن هذه المحاولات تدبيرهم احياء النعرات الجاهلية بين الأوس والخزرج من أهل المدينة . بعد أن كان الاسلام قد جمعهم وامات تلك الثارات التي كانت لاسباب تافهة ، وتصدى للقيام بالمكيدة شاس بن قيس أحد أحبار يهود بني قينقاع ، فإنه مرّ على قوم من الأوس والخزرج يلتقون متحابين فغاظه ذلك، وأمر فتى كان معه وقال : اعمد اليهم واذكر لهم يوم (بعاث) وانشدهم بعض ما تقاولوه فيه من الشعر ، وغفل القوم عن المكيدة وبدأوا يتذكرون ايام صراعهم في الجاهلية فتفاخروا وتنابذوا وحددوا مكاناً يلتقون فيه لقتال بعضهم بعضا . . . وتبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقصد اليهم وخاطبهم منبهاً من المكيدة : أبدعوى الجاهلية وانا بين أظهركم ، بعد ان هداكم الله بالإسلام ؟ ![1] .

اليهود يدبرون المكائد ، وكلما اوقدوا ناراً للفتنة كان يطفئها الله تعالى ، وبعد فشلهم في تجديد النفس الجاهلي فيمن رقت قلوبهم وعقولهم في رحاب الايمان ، حاولوا محاصرة الدعوة الاسلامية اقتصادياً ، فتبرع جماعة يهود من بني النضير وقريظة وقينقاع ، وأخذوا يطوفون ناصحين على رجال من المسلمين من عرب يثرب ، كانوا يتعاملون معهم قبل الاسلام ، ويقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم في سبيل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنا نخشى عليكم الفقر ، ويرفقون ذلك بالتلويح باحتمال فشل دعوة

---

(١) يراجع : الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة ، م . س ، ص ١٠٦ وما بعدها .

الاسلام . وكان الغرض من ذلك اضعاف قوة المسلمين بحجب وسيلة هامة هي المال الذي يساعد على الحركة والنشاط وتواصل الجهاد . وهؤلاء توعدهم الله تعالى بقوله : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما أتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾(1) .

لم يكتف اليهود بزرع الفتنة . والتفنن بالمكائد ، وإنما حاولوا ولمرة ثانية ايذاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم كعادتهم مع كل الرسل والانبياء . ولما لم ينجحوا بالقاء الرحى عليه في المرة السابقة ، حاولوا بشكل غير مباشر بواسطة دس السم في الطعام . وخصصوا لذلك يهودية تدعى زينب بنت الحارث ، زوجة أحد أحبارهم سلّام بن مشكم من بني النضير . وزينب هذه كانت قد استفسرت وعلمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل من لحم الشاة لحم الذراع . فدسّت السم في عموم الشاة وأكثرت منه في الذراع . وعندما تناولها رسول الله فلاك منها مضغة ، اكتشف أمرها . . فقال : ان هذا العظم يخبرني أنه مسموم .

فباءت محاولتهم بالفشل ، ونفّذ الله تعالى وعده بأن عصم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم من أذى اليهود والمنافقين .

فاليهود قد افتتحوا عهد صلاتهم بالاسلام بالمؤامرات وتسعير الفتن ، واستمر نهجهم كذلك ، حيث لم يتركوا ثغرة يمكنهم النفاذ منها الا وحاولوا . وهذا ليس أمراً مستغرباً فإن « الصورة التي نستخلصها لليهود من آيات القرآن أنهم يضاعفون النشاط لنشر الفساد

---

(1) سورة النساء ، آية ٣٧ .

في الأرض ، ويتمـادون في الغيّ كلمـا دعـاهم داع الى الهـدايـة والاستقـامـة ، حتى كـأنهم فـطروا على معصيـة الله ومخـالفـة الحق »[1] .

لقد شجعوا الزندقة والفرق الباطنية من سبئية الى قرامطة الى ديصانية الى سواها . وعملوا بأساليب الجاسوسية ليخربوا من الداخل في صفوف المسلمين عندما عجزوا عن المواجهة المباشرة ، تماماً كما فعلوا مع المسيحية في اوروبا . ومن قصص جاسوسية اليهود ، قصة يعقوب بن كلس الذي تسلسل « من أسرة بغدادية تزعم الاسلام والعروبة ثم غادر بغداد وهبط القاهرة ، وتبوأ كرسي أمين البلاط الأخشيدي ، فمدرّس الفقه وأصبح أمين البـلاط الفاطمي ، وبعـد اثني عشر عاماً قضاها في خدمة الفاطميين اثبت التحقيق أنه من أسرة يهودية تستتر بالإسلام وتقيم في العراق منذ صدر الاسلام ، وأثبت انه كان يتجسس للروم لينتزع بمساعدتهم فلسطين ويرفع علم صهيون . وكان قتل ابن كلس وأخيه بيد الحاكم بأمر الله حسنة من حسنـات الحاكم »[2] .

وعلى هذا النهج نسج ـ وما يزال اليهود ـ الصهاينة المؤامرات المباشرة او المستترة خلف اشخاص او مؤسسات ، ضد الاسلام والمسلمين ، لأنهم يجدون في أحكامه ونصوصه ، مصدراً يكشف حقيقتهم ، ومنطلقاً لمواجهتهم ، وانقاذ البشرية كلها من شرورهم وعدوانيتهم .

---

(١) مغنية ، محمد جواد ، م . س ، ص ٧١ .

(٢) الزعبي ، د . محمد علي ، المـاسونيـة منشئة ملك اسـرائيل ، بيـروت ، مطابـع معتوق ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٩٤ .

٦ ـ اليهود في القرآن :

لقد أنعم الله على بني اسرائيل نعماً لم يخص بها شعب غيرهم . من هذه النعم أن أرسل فيهم أكثر من نبي ورسول يحاول هدايتهم الى صراط الله المستقيمة ، ومع هؤلاء الرسل كان لهم التوراة مع موسى عليه السلام ، والزبور على داود عليه السلام ، كما أن الله تعالى ساعدهم على التحرر من فرعون وطغيانه ، وأنجاهم من الغرق عندما كان فرعون وجنده يلاحقونهم ، وأعطاهم الملك في عهد سليمان ، وأنزل عليهم المن والسلوى وغير ذلك ، مع كل هذه النعم لم يحس لبني اسرائيل طبع بايمان ، وقابلوا ذلك بالكفر والجحود . لا بل تراهم قد كذبوا بما جاءهم به الرسل وزوروه بما يخدم طباعهم وأطماعهم وعدوانيتهم ، وفي ذلك جاء قول الله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (١) .

وهؤلاء المحرفون غلاظ القلوب نسوا نعم الله عليهم وتفضيل الله لهم في زمانهم ذلك ، على غيرهم حيث خصهم بما لم يخص به سواهم من الشعوب والأمم وفي هذا خاطبهم : ﴿ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت ، عليكم وأنّي فضلتكم على العالمين ﴾(٢) .

ولكن هذا التفضيل رغم محدودية زمانه انقلب ذماً لهم ، لأن كثرة الأنبياء والرسل اليهم دليل على شدة ضلالهم وغيّهم .

---

(١) سورة النساء ، آية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٤٧ .

إن اليهود الصهاينة بكل ما فيهم من فظاظة طبع ، وانغلاق على الذات يولد وحشية في مواجهة الغوييم (غير اليهود) ، وكفر لا يعادله كفر أمة بأنعم الله ، قد أعطيت صورتهم في القرآن الكريم على حقيقتها ، إنها صورة من لا يُرجى منهم خير ولا نفع ، بل فيهم الضرر كله ، والشر كله ، والنفاق كله . قول الله تعالى فيهم : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون ﴾[1] .

وهذا وصف لبني اسرائيل الذين عرفوا رسالات السماء وأنعم الله عليهم بما سبق ذكره ، فكيف بزبانيتهم وهم أكثرية يهود العصر الساحقة من بقايا مملكة الخزر ؟ . والوصف يطلعنا بشكل دقيق على شخصية الصهيوني لنأخذ الحذر منه ، ونعرف كيف نواجهه اتقاء لشره .

إن « المراد بالقلوب ما اعتبرت عنواناً له وهو الوجدان والعقل .

فقلوب بني اسرائيل قست ففقدت ميزة التأثر والانفعال فلم تعد الحكم والعظات والعبر تستطيع الوصول الى قلوبهم والنفاذ إليها ، فهبطوا من سمو الروح الانساني الى رتبة الجماد بل الى ما دون ذلك »[2] .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٧٤ .

(٢) طبارة ، عفيف عبد الفتاح ، م . س ، ص ٥٩ .

والشخصية الصهيونية التي تربت خالية من كل نوع من أنواع الانسانية ، تجلت في سلوك مادي ملك عليهم كل حركة من حركاتهم ، فأباحوا كل شيء من أجل تحقيق أطماعهم التي يسعون اليها دون التورع عن شيء ، أو إقامة اعتبار لأية قيم . ويكفي أن نعلم أن جزءاً كبيراً من مسائل الجشع المالي والاحتكارات ، والنظم المالية الجائرة على الصعيد العالمي ، كانت صنيعة اليهود .

وعندما نالهم غضب الله ، فمنع عنهم كثيراً مما أنعم عليهم في سابق العهود ، بعد أن تعنتوا وتمسكوا بانحرافهم وضلالهم ، رغم نهيهم عن ذلك . وفي ذلك كان قول الله تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴾[1] .

وأي ذنب أكبر من ذنب من يمتنع عن تقبل الهدي ، ومن بعد ذلك يتجه الى منع غيره واضلاله والمساهمة في انحرافه عن الطريق القويمة ؟! وأية معصية أكبر من معصية من يقوم بفعل ما نهى الله عنه ، فيتجاوز حدوداً محظورة عليه ؟! وأية عدوانية أشد من أن يأكل الانسان مال غيره ويتعدى على حقوق الآخرين ؟! وبعد كل هذا فليس كثيراً أن يوصفون بالكفر والخروج عن كل قواعد الايمان .

لذا يصح القول : أن يهود اليوم ليسوا يهوداً بل هم صهاينة ملتزمون بعقيدة موضوعة ولا يصح عليهم وصف الكتابيين ، إلا إذا

---

(١) سورة النساء ، آية ١٦٠ ، ١٦١ .

كان قد شذّ فردّ أو أكثر ، والقياس والحكم عادة لا يكونان على ما هو شاذ .

ويدق الوصف أكثر ليأتي معبراً عن حال الصهاينة المعاصرين في قول الله تعالى : ﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾(1) .

« ما ذكره القرآن ينطبق على الصهيونيين اليوم أشد الانطباق ، فهم لا يتورعون عن الآثام وافساد الغير بشتى الطرق للسيطرة عليه ، وهم معتدون سلكوا جميع وسائل المكر والخداع »(2) .

فالافساد ونشر الرذيلة ، وظلم الناس ، كلها صفات للصهاينة باتت جزءاً من عقيدتهم . ﴿ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلنّ علوّاً كبيراً ﴾(3) .

إن افساد الصهاينة هذا ، وسعيهم في الطغيان والرذائل بات سلوكاً عندهم ومنهاجاً في حياتهم ، بسبب ما حرّفوا وزوّروا في تلمودهم ، وسائر وسائلهم التثقيفية ، لذلك فاذا ما عوقبوا ، أو تمت محاربتهم ، فذلك جزاء ما قدمت أيديهم ، ونتيجة طبيعية لما كسبوا من فعل ، فلقد عاثوا فساداً في الدنيا ، وطمعوا بأثمان بخسة ، أنالتهم غضب الله ، ونقمة البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها ، حيث دنسوا طهرها ، واعتدوا على انسانية الانسان فيها .

---

(1) سورة المائدة ، آية ٦٢ ، ٦٣ .

(2) طبارة ، عفيف عبد الفتاح ، م . س ، ص ٤٧ .

(3) سورة الاسراء ، آية ٤ .

واذا بالمصير المحتوم لهؤلاء الكفار الطغاة تصوره الآية الكريمة أدق تصوير ، في قول الله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذّلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾(١) .

لقد كتب عليهم الذل والهوان ، وغضب عليهم الله تعالى ، فقطعت حبل الله معهم بعد أن أمهلتهم رحمة العليّ القدير التي لم يقدروها حق قدرها ، فكذبوا بالرسل ، وتمردوا أيّما تمرد . أما حبل الناس فيمكن القول أن أوروبا وأمريكا وبنسب متفاوتة هي حبل الناس الممدودة للصهيونية ، حيث يقدمون لها الدعم المادي والبشري ، لكي يحافظوا على الدويلة العنصرية تحقيقاً لاغراضهم الاستعمارية الملتقية مع الأطماع الصهيونية ، ولكن ذلك لن يدوم ، فلا حبل يمكن الاعتصام بها أقوى من حبل الله الممدودة للمؤمنين ، المقطوعة مع الصهاينة الذين ضرب عليهم الله الذلة ، ومسخهم قردة خاسئين ، فإن للباطل جولة ولكن سيزهق في وقت ما ليحل محله الحق .

٧ ـ خاتمة :

إن الحركة الصهيونية لم تتمكن من الاستيلاء على فلسطين أو أية أرض عربية أخرى الا بسبب الدعم الاستعماري الذي وجد فيها مدخلاً لتحقيق مطامعه ، والا بسبب التأثيرات الصهيونية على قيادات

(١) سورة آل عمران ، آية ١١٢ .

هـذه الدول ، فـإن الصهاينـة من أجل تـأمين مصالحهم « وحمـاية لعمليـاتهم غير المشـروعة كـانوا يلجؤون الى الـرشوة وشـراء ذمم المسؤولين الكبار ، . . . واستطاعـوا بواسـطة الرشـوة والمخدرات والمسكرات والنساء تقويض أخلاق الشعب »[1] .

إن العمل على الافساد هو منهج يتربى عليه كل صهيوني ليعمل به على شلّ طاقات الغوييم (غير اليهود) ، مرفقاً بتربية تتسم بالعنف والانغلاق ، وهذا ما نراه متمثـلاً باسـرائيل فهي (غيتـو) مسلح ، ووسيلة تدمير وافساد من أجل تحقيق الغرض الصهيوني ان استطاعوا لذلك سبيلاً .

وما العداء « للاسامية » وغيرها الا أساليب صهيـونية قـديمة جديدة لتوليد عقيدة الانغلاق والتفوق عند الاسرائيلي وفي هذا يقول آرثر روبن أستاذ علم الاجتماع في الجامعـة العبريـة : « ان العداء للسامية وفرض كابوسه على اليهود أنفسهـم مخطط قديم يعود الى عهد عزرا ونحميا ، اللذين وضعا الشـريعة حـوالي عام ٤٠٠ قبـل الميلاد . . . في تلك الأيام كان من الضروري حماية عقيدة (يهوه) من التـأثيـرات الخـارجيـة . . . لكن زعمـاء القبـائـل اليهـوديـة اعتقدوا ، . . . أنه بامكانهم تصحيح هذه الظروف باتخـاذ اجراءات استثنائية . . . وهكذا فرضوا على اليهود الاعتقاد بأنهم شعب نمـا وترعرع خلف الجـدران المحصنة (أي جـدران الغيتو) وعليـه أن يكون دوماً على أهبة الاستعداد»[2] .

---

(١) غاي كار ، وليام ، م . س ، ص ٥٤ .
(٢) التوراة ، تاريخها وغاياتها ، م . س ، ص ٦٩ .

هذه العقيدة السياسية الصهيونية أعطيت رداء عقيدة يهودية مصطنعة منذ قديم الزمان ، ولذلك يمكن القول : إن جوهر الفكرة الصهيونية المعادية للعرب ولأبناء الديانات السماوية تتركز في هذه المرحلة : « في النظرية والممارسة ، على أنها استيراد ونقل مجموعة من العقائد والأفكار الدينية من مجالها الديني الى المجال السياسي ، وهو نقل للأفكار ينتج عنه في الممارسة ، عمليتا نقل ديموجرافي : نقل اليهود من المنفى الى أرض الميعاد ، ونقل العرب من أرض الميعاد الى المنفى »[١] .

تأسيساً على ما تقدم ، ومن خلال استقراء مجريات الأمور يمكننا القول : إن النقل الصهيوني ليس بالضرورة أن يكون كله نقلاً مباشراً ، ولكن بسبب قلة عدد الصهاينة بشرياً ، سيعتمدون ككل عهد من عهود عملهم الاستتار والنفاق ، وبالتالي سيعتمدون نقل مجموعات بشرية الى صفوف هيئات ومنظمات يحركونها بأصابعهم الخفية ، فيصبح عندها الانسان منفياً في أرضه ، مغترباً عن قيمها وثقافتها ، خادماً لمصالح الصهيونية في سلوكه ومعتقده ، كما هو حاصل الآن في أكثر من موقع .

إن نقل الانسان العربي الى معسكر مؤسسات الصهيونية ، هو أخطر من الهجوم الاسرائيلي المباشر على هذا الانسان ، ولذلك نقول بأنه : «ليس بمجدٍ لمواجهة الدويلة الصهيونية أن نكدس ذخيرة وزاداً وعتاداً ، ليس بمجد تجديد الأشياء ، بل تجديد الأفكار ،

---

(١) المسيري ، د . عبد الوهاب محمد ، الايديولوجية الصهيونية ، القسم الأول ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، كانون الأول ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩٥ .

ولكن تجديدها بصورة جذرية . . . إن ما ينوب مجتمعاً ما في منعطفات التاريخ الخطيرة ، ليس من قلة أشيائه ولكن من فقر أفكاره »[1] .

إن تهافت الصهيونية في الميزان العقيدي الديني ، يتطلب منّا أن نسقط فكرها السياسي المتستر بألف لون ولون ، لكي نمنع تأثيره على واقع الشعوب ، والعربية بشكل خاص ، لأننا إذا حسمنا مسألة الالتزام العقيدي ، ونقلنا ذلك الى الميدان الحياتي ، ينعكس الايمان تحصيناً في مختلف مجالات الحياة في المدرسة والأسرة وفي أي مكان يلتقي فيه آدميون للعمل المشترك ، عندها نكون قد بدأنا باعداد سفينة النجاة التي تنقذ أرض العروبة والاسلام ، ومهد النبوة والرسالات من رجس الصهيونية ، وعندها سنحمل مشروعنا الانقاذي الى العالم كله ، لنخلصه من كابوس الصهيونية وفروعها المباشرة وغير المباشرة . وعندها ستقطع حبل الناس مع اسرائيل ، وحبل الله تعالى مقطوعة معهم بسبب سلوكهم وما صدر عنهم من كفر واثم ، ومنهم من تحريف وطغيان ، وبعدها ستكون النهاية لهم والدائرة عليهم ، وسيخرجون من الجغرافيا والتاريخ والحضارة ، ليعودوا اذلاء مشتتين ، فاقدي التأثير .

---

(١) ابن نبي ، مالك ، انتاج المستشرقين ، القاهرة ، مكتبة عمار ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٢٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الظالمون﴾

الفصل الرابع

العلمانية
مشروع صهيوني - استعماري

العلمانية

١ - المصطلح :

تثيـر مسألـة العلمانيـة بعضاً من المهتمين بـالشـأن العـام ، ويخصّصون لها حيّـزاً من أوقاتهم ينـاقشون صـلاحيتها للتـطبيق ، وامكانية اعتمادها حـلاً لمشكلة تعدّد الطوائف والمذاهب في البلد الواحد .

ويمكن القول : إن لبنان هو من أبرز البلدان العـربية التي عرفت تداول المـوضوع على أوسـع الصعد ، وآخـرها كـان طرح العلمانية في كثير من المؤتمرات التي جرت وتجري منذ بداية العام ١٩٧٥ .

ومن الهام أن نعلم بأنه ليس المقصود بالعلمانية الشيء العلمي الذي هو نقيض المثالي أو الخرافي الأسطوري ، وإنما العلمانية هي الدنيوية أو العالميّة بمواجهة الأخرويّة ، ولذلك عبّر عنها بالفرنسية بكلمة Secularité ، ومنها اعتمدت كلمة Seculier أي العاميّ الذي ليس باكليريكي . وفي هذه الحالة يكون العلمـانيٍ جاحـد لاديني Irréligieux ، وليس العلماني من يعتمد العلم بديلاً عن سواه في ما

يسنّ من قوانين وتشريعات .

هنا يحقّ لنا التساؤل عن أسباب وضع العلم المدني ، أو التشريع الوضعي في مواجهة الدين . وترتب على ذلك أنه بات مفروضاً على من أراد أن يكون علمياً وفق الفكر الأوروبي أن يكون لادينياً ، أو لامنتمٍ لدين سماوي !! .

قد يكون السبب في ذلك أن اصطلاح « العلمانية » التي « تضع العلم المرتبط بالعالم ، وبما هو واقعي ومدني ، تضعه مقابلاً ، بل ونقيضاً للدين . . . ذلك لنشأتها وتبلورها في بيئة حضارية شهدت صراعاً شهيراً ومريراً بين الدين كما قدّمه اللاهوت الكنسي الكاثوليكي في أوروبا ، وكما تصوّره الرأي الرسمي للكنيسة الكاثوليكية ، وبين العلم الذي تأسست على قواعده النهضة الأوروبية الحديثة »[1] .

٢ ـ أوروبا مهد النشأة :

إن العلمانية مصطلحاً وتطبيقاً نشأت في الواقع الأوروبي وعلى المفترق بين العصور الوسطى التي كانت السلطة في غالبها فيها للكنيسة ، وبين عصر النهضة الأوروبية .

لقد عرفت المجتمعات الأوروبية خلال العصور التي سادت فيها الكنيسة واقعاً صعباً كان التبرير له ديني ، مع أن واقع وجوهر المسيحية نفسها ليست كما جرى تطبيقها أوروبياً ، ويصح القول :

---

(١) عمارة ، د . محمد ، الاسلام والعروبة والعلمانية ، بيروت ، دار الوحدة ، ط ١ ، سنة ١٩٨١ ، ص ٦١ .

أن ما كان يطبق هو مفاهيم اقطاعية مستمدة من جذور الفكر السياسي في أوروبا منذ عهد الفلسفة اليونانية ، مغلّفة برداء المسيحية .

إن اشكالاً من الإقطاع السياسي ، والاقتصادي ، ومن قمع حرية الفكر والرأي ، مارسها بالتعاون مع الدولة ، القائمون على الكنيسة في المجتمعات الأوروبية ، وفي تلك المجتمعات لم يكتف القائمون على الكنيسة بامتلاكهم لمساحات واسعة من الأرض ، ولثروات هائلة وهذا أمر دنيوي ، وإنما أباحوا لأنفسهم تجاوز ذلك ليتدخلوا في الشأن الأخروي ، بواسطة ما أسموه « صكوك الغفران » والتي كانوا يبيعونها مقنعين بسطاء الناس ، إن هذه الصكوك تضمن لهم مكاناً في الجنة ، وتؤمن لهم غفران الله .

مع أن هذا الاجراء مناقض للمسيحية نفسها . فمن المعروف أنه جاء في التعاليم المسيحية : « ما لقيصر لقيصر ، وما للّه للّه » . وإذا كان قيصر اشارة للانسان ، فكيف يحقّ للقائمين على الكنيسة وهم بشر أن يتدخلوا في الشأن الأخروي وهو أمر إلهي وفق أحكام الدين المسيحي ؟! .

وقد توسعت مسألة التدخل في أوروبا فشملت الجانب العلمي والمعرفي ، حيث أصبح من المحظور على أي مفكر ، أو عالم أن يعلن عن نظرية أو اكتشاف علمي لمجرد أنه يعارض في بعضه أو كلّه حلاً للمسألة نفسها ، تبنته الكنيسة .

وكانت المفاهيم الكنسية في جانب غير قليل منها تمتاز بالتصلّب والجمود ، وكانت الخرافة تسود في غير جانب من جوانب

الحياة العامة . لذلك كان من المحتم أن يقع الصراع والصدام بين أصحاب نظريات الإصلاح الديني والكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك مع أصحاب الكشوف العلمية المستنيرة .

ولعل عالم الفلك جاليليو أصرح مثال على ذلك ، حيث كان « من المحتم أن يقع ، عاجلاً أو آجلاً ، صدام بين جاليليو ورجال الدين المحافظين ، وبالفعل أدين في عام ١٦١٦ م . وفي جلسة مغلقة لمحاكم التفتيش ، غير أن سلوكه بدا بعد ذلك بعيداً عن الخضوع والامتثال بحيث سيق مرة أخرى الى المحكمة في عام ١٦٣٣ ، ولكن المحاكمة في هذه المرة كانت علنية . ولكي يهدّىء الحملة عليه ، تراجع ووعد بأن يتخلّى من الآن فصاعداً عن كل الأفكار المتعلقة بحركة الأرض ، وتقول الروايات المتداولة على الألسن إنه فعل ما أمر به ، ولكنّه تمتم لنفسه قائلاً : ومع ذلك فإنها تتحرك . أما تراجعه فكان بالطبع مظهراً خارجياً ، غير أن محكمة التفتيش نجحت في استئصال البحث العلمي في ايطاليا لعدة قرون »[١] .

وما حصل لجاليليو مع محاكم التفتيش هو نموذج عن العديد من الذين واجهوا المصير نفسه ، وربما تجنّب كثيرون طرح آرائهم ، وما توصّلوا إليه خوفاً من عقوبة سيلقونها حكماً ، ومن هذا القبيل نرى ديكارت قد « امتنع عن نشر كتاب هام في الفيزياء ، كان قد أخذ

---

(١) رسل ، برتراند ، حكمة الغرب ، جـ ٢ ، ترجمة فؤاد زكريا ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة الشهرية ، عدد كانون الأول ١٩٨٣ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

بالنظام الكبرنيكي ، عندما ترامت إليه أنباء محاكمة جاليليو في عام ١٦٣٣ م »[١] .

تأسيساً على ما تقدّم مضافاً إليه أن رجال الكنيسة تحالفوا مع الحكام من النبلاء لقهر الشعب ، نقول : إن العداء الذي أقيم في أوروبا بين الدين والعلم هو خصوصية أوروبية ـ كاثوليكية .

وأن هذا العداء كانت نتيجته صراعاً بين الكنيسة وعالمها، في حقبة من التاريخ ، وفي مكان محدّد ، فما هو المبرّر للتحدث عن نظم لادينية في غير ذلك المكان والتاريخ ، ولاستيراد الوصفات الجاهزة ، رغم اختلاف المفهوم الديني للعلم في بلادنا ، واختلاف العلاقة بين القائمين على الشأن الديني والشعب ، عنها في أوروبا ؟ .

إن الكنيسة في أوروبا تبنّت مجموعة من التفسيرات لنظام الكون، ولفهم الطبيعة وأعطتها قوة الاحكام الدينية من الناحية التشريعية ، فحملها ذلك على رفض كل جديد يعارض هذه النظريات والمقولات .

وإذا كان واقع بلادنا في كل جوانبه بما فيه علاقة الدين والعلم مختلفاً ، فما هو المبرّر للمطالبة بعلمنة الدولة في المجتمعات التي تستهدي بالنظام العقيدي والحضاري المؤمن ، والذي يستمد بشكل خاص من الاسلام ضوابط وقواعد لتنظيم العلاقات بين البشر وخالقهم ، وبين بني المجتمع أنفسهم ؟

---

(١) رسل ، برتراند ، م . س ، ص ٦٨ .

إلا إذا كان « علينا لنتوحد مع الغرب ، أن نفترض ، في عالم الاسلام مشكلة غير موجودة في الأساس ثم نفرض على واقعنا السياسي والثقافي والاجتماعي حلاً طبّقته أوروبا لمشكلة عانت منها في الحياة اليومية والعامة طيلة قرون »[1] .

٣ ـ اللادينية ومأساة الانسان :

لقد ولّد الصراع بين الكنيسة ، والعلماء في أوروبا ردة فعل عند كثيرين جعلتهم يطرحون النقيض ، فكان الخيار هو تسيير المجتمع بشرائع وضعية لا علاقة لها بالدين ، ولا بقواعده وتعاليمه ، وإذا بهم ، بدل أن يطالبوا بفصل الدولة عن سلطة الكنيسة ، يطالبون بفصل الدولة عن الدين نفسه .

وقادهم هذا الأمر من مواجهة مع الكنيسة الى مواجهة مع الدين ، وبدل أن يحمّلوا رجال الكنيسة أخطاءهم حمّلوها للدين ، فبدأوا مهاجمته والمروق منه ، وإذا بهم ينتهون من فصل الدين عن الدولة ، الى فصل الانسان ، في مجتمعهم ، عن الدين ، وعن كل سبل الإيمان ، فكان الالحاد واللاانتماء هما القاعدة في غالب نظرياتهم السياسية وسواها ، سواء لبست ثوب المحافظة واليمين ، أو ثوب التقدمية واليسار .

وإذا بظاهرة اللادينية واللاانتماء تشمل كل جوانب حياة الانسان ، وإذا بالفرد في مجتمع أوروبا العلماني يظلّ لامنتمياً «إذ

---

(١) شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، العلمانية ، بيروت ، المركز الاسلامي للدراسات والابحاث ، ط ١ ، سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ١٦٠ .

ليس ثمة مجال للانتماء. . . اللاانتماء الى فكرة أو دين أو مذهب عام يفسّر الكون والوجود والعالم تفسيراً مقبولاً. . . مذهب يطلقه من سجنه ويكسر جدران عزلته، ويبعث انسانيته، ويحقّق له وجوده. . . ويشعر أنه ضائع ، وأن الحياة ليست سوى وحش مخيف يفترس كل الأشياء الجميلة »[1] .

لقد تاه الانسان عندما أُقنِعَ أن اللادينية تحلّ له مشكلاته، فعاد الى الوثنية وعبادة بعض مظاهر الطبيعة ، فولّد اللاانتماء تمزقا في « أنا » الفرد ، وعدم استقرار انعكس فوضى في حياته الخاصة ، ونظاماً غاب في مجتمعه ، ففقد مع ذلك امكان تحقيق اشباع الجانب الانساني في شخصيته ، فكثرت ظواهر العبثية ، والقنوط والتطيّر ، فكان بعد طول معاناة ما نراه اليوم من يقظة دينية في أماكن عديدة من العالم .

وإذا كانت النظم اللادينية قد حاولت تحكيم نظرتها المادية الى الكون والحياة، فإنها لم تنجح في تحقيق الاستقرار لا في المجتمع، ولا في ذات الفرد ، فنقلته من تسلّط تحالف رجال الكنيسة والحكام ، إلى تسلّط المادة الموضوعة في يد القلّة الحاكمة طبقياً أو حزبياً ، فإذا بالتسلط يحلّ مكانه تسلّط آخر ، وبالطبقة الحاكمة اقطاعياً ، يحل مكانها اقطاع وديكتاتورية من نوع جديد .

٤ ـ الاسلام لا يقبل العلمانية :

في محاولة لاستقراء الوقائع التشريعية ، أو التاريخية ، أو

(١) خليل ، د . عماد الدين ، تهافت العلمانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ٨٠ .

الاجتماعية ، لا نرى ثمة مبرّراً لدعاة اللادينية (العلمانية) ، في الواقع العربي . فإن الاسلام لا يعرف ما يسمى بجماعة « رجال الدين » . فكلّ مسلم هو رجل الدين ومطلوب منه التفقّه في دينه .

والعلاقة بين الله والانسان لا تحتاج الى وسيط ، بل صلة مباشرة مع الله وشريعته المنزلة . ويمكننا في هذا الباب أن نعود الى كتاب الله لنرى أن الخطاب كان بعد كل سؤال جواب تسبقه كلمة « قل » . ولقد جاء قول الله تعالى جواباً دون أن تسبقه كلمة « قل » ، عندما كان السؤال من بشر عن ربهم يطلبون رحمته ، وهديه ، وإغاثته ، فجاء قول الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان﴾[1] . بينما جاءت الاجابات في غير آية تفصلها كلمة « قل » : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ ﴿ يسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ . أما في الآية التي طلب فيها الناس الصلة بربّهم، فلقد سقطت كلمة « قل » ، لأن الله تعالى لم يقبل كلمة «قل» وهي حرفان أن تفصل عبده عنه، أو أن تتوسط بينهما ، فما بالك برجال كهنوت ، أو صكوك غفران ؟ . . . أما فيما يتعلق بعلاقة الدين والعلم ، فإنّها في الاسلام علاقة تلازم بين الايمان والعلم ، ففي الايمان دفع للتحصيل ، والاكتساب العلمي بالنظر والتدقيق في مخلوقات الله ، وفي العلم اطلاع على قدرة الله ، مما يزيد الايمان بالله .

ولذلك أعطي من جمع صفتي العلم والايمان مكانة خاصة عند

---

(١) البقرة ، آية ١٨٦ .

الله ، وتقديراً مميزاً في المجتمع ، وفي هذا جاء قول الله تعالى : ﴿ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1]. وعلى العكس مما حصل في أوروبا فإنه في ظل دولة الخلافة ازدهرت العلوم ، وتقدمت المجتمعات ، وكانت حضارة ذات آثار غير خافية في كل مكان من العالم حتى يومنا هذا .

وإذا كانت التشريعات الوضعية اللادينية قد أعقبت عصر سيادة السلطة الأكليريكية ، والكنسية فإن ذلك حاصل لأنه « لم يكن لدى المجتمعات السياسية في أوروبا في القرون الوسطى (عصر الاقطاع) سوى خليط من القوانين أكثرها روماني وبعضها كنسي لأن الكنيسة لا تملك مصدراً للتنظيم المجتمعي خاصاً بها بسبب خلوّ المسيحية من تنظيم كهذا »[2] .

أما في المجتمعات التي تسودها أنماط حضارية تستقي قواعدها من الاسلام ، فإن قاعدة : « ما لقيصر لقيصر ، وما للّه للّه » ، لا وجود لها . وشعار : الدين للّه ، والوطن للجميع ، مرفوض . لأنه في الاسلام : الدين للّه والوطن للّه ، والخلق كلهم عيال الله . والدنيا بكل ما فيها ليست في الجانب المقابل للدين ، وإنما الدنيا تقابلها الآخرة ، والدين هدي للصراط المستقيم من أجل حسن الثواب في الآخرة ، والسعادة في الدنيا .

ويخطىء الذين يقولون : إن الإسلام دين ودنيا ، أو الاسلام دين

---

(١) سورة المجادلة ، آية ١١ .

(٢) شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، م . س ، ص ٨١ .

ودولة ، وذلك لأن الاسلام نظام عقيدي يفسّر نظام الكون ، ويحدّد المنهاج السلوكي للدنيا وللدولة وللآخرة ، ويحوى ثوابت التشريع وضوابطه لكل ميدان من ميادين الصلة بين الانسان والله ، ولكل جانب من حياة الانسان اقتصادياً وسياسياً وتربوياً وأخلاقياً . . الخ .

وهنا قد يقول قائل : إن الاسلام شريعة كانت فيها الحلول لمجتمعات في ماضٍ بعيد يفصلنا عنه أربعة عشر قرناً ، والمطالبة بتطبيقه اليوم جمود ورجعية ، ومن يقول هذا الكلام أعتقد أنه قد جهل مسألة الاجتهاد التي حضّ عليها الاسلام وأعطى الثواب للقائم بها .

وذلك لأن الاسلام قد حدّد المنهاج والمنطلقات والضوابط التي لا يجوز تجاوزها ، وترك مراعاة خصوصيات الواقع وجزئياته للمجتهد ، فإذا بالاجتهاد حركة لا تتوقف من أجل استنباط الأحكام في كل زمان ولكل مكان ومجتمع . وفي التشجيع على ذلك جاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »(١) .

فالله سبحانه هو « الذي أنزل مبادىء الشريعة الاسلامية بما فيها من دين ومن قضاء أو أحكام قانونية . فكان طبيعياً أن يبحث علم الفقه أو علم فروع الشريعة في العبادات وفي المعاملات جميعاً . . . والحاصل أن الشريعة الاسلامية شريعة مقدّسة بمصادرها وأحكامها الأولى ، على حين أن القانون المدني يبحث في المعاملات وحدها ، ويستمد أحكامه من سلطة الدولة »(٢) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود .

(٢) محمصاني ، د . صبحي ، م . س ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

وهنا نصل الى السؤال : ما هي المصلحة بأن تلغي دور الثوابت التشريعية المحددة من الله تعالى ، وفيها العدل المطلق ؟ ألِكي نفسح المجال لتشريع وضعي تلعب فيه الدور الفصل مصالح الدول والحكام وأهواء المنظرين ؟

٥ ـ الايمان حصن الانسان :

تشكل رسالات السماء في بلادنا ، والاسلام على وجه الخصوص، الاطار الحضاري للنهضة والتقدم كما كانت في الماضي ، ولذلك نتساءل : ما هي المصلحة في اللادينية (العلمانية) التي تفقدنا هذا الاطار الحضاري الذي لا بديل عنه ؟

وبما أن أمتنا العربية هي مهد رسالات السماء ، فإن ذلك قد أعطاها ميزة التأثير الحضاري في كل زاوية من العالم ، وليدر الانسان بصره ، فهل من مدينة أو قرية تخلو من مسجد أو كنيسة ، أو منهما ؟. وهل من ميدان تشريعي أو معرفي وليس لنا فيه أثر ؟ ولأن الأمر كذلك فإن الدعوة للّادينية هي دعوة لافقاد أمتنا الدور الحضاري الانساني .

أما إذا انتقلنا من ذلك الى الانسان نفسه لنتفحص قدرته على المواجهة في الظروف الصعبة ، خاصة كانت أم عامة ، فإننا نجد في الإيمان قوة دفع باتجاه التفاؤل ، والطموح الى مستقبل لا يعرف اليأس ، لأن الايمان لا يفسح مجالاً للتشاؤم . ولذلك نرى أن عناصر المقاومة عند الانسان المؤمن أقوى من عناصر المقاومة عند غير المؤمن . فإنه « في التجارب الوضعية يسقط الانسان نفسه ، هذا الكائن المنفرد ، الفعّال ، بمجرد سقوط

دولته وحضارته ، وتكون النكسة بالتالي ، أعمق وأشدّ خطراً . . . أما في الاسلام فجائز أن تسقط الدولة أو الحضارة ، ولكن الانسان المسلم والمجتمع المسلم يستمران على المقاومة والتماسك أطول فترة ممكنة ، بسبب توفّر الحوافز الذاتية والقيم الأخلاقية التي يولّدها الدين والضمير الديني مما لا نجده في التجارب العلمانية . . ان الدول والحضارات كثيراً ما تعاني السقوط من الداخل ، في أعقاب تدهور يصيب الانسان في ذاته ، والمجتمع في علاقاته . . . هذا التدهور غالباً ما يقود الأغلبيات الساحقة الى السلبية والدمار »[1] .

ففي ظلّ الدولة العلمانية يصبح سقوط الدولة سقوطاً للمجتمع ، ولصيغته البنيوية ، ويبدأ البحث عن الجديد في الحنايا والزوايا ، وحتى لو عرف المجتمع بعض النجاح في حياته السياسية أو سواها في ظلّ اللادينية ، فإن النتيجة السلبية هي أنه « في المجتمع العلماني نجد ثمة طاقات انسانية شتى جمّدت أو أبعدت قسراً عن العطاء الحضاري لأنها تارة تبنّت الدين الذي فصلته عن الحياة ، وتارة أخرى تبنّت الدنيا التي فصلتها عن الدين . وفي كلتا الحالتين لم يكن ثمة تخطيط صحيح يكفل التوازن والوحدة والتكامل في التزام الانسان للعقيدة والطبيعة والقيم الانسانية . . . في ظلال المجتمع العلماني يتمزّق الانسان ، بناء على تمزّق مصيره ، وتزدوج شخصيته اعتماداً على الثنائية التي اصطنعها بين المادة والروح . . »[2] .

أما في رحاب الايمان فإن الانسان يحقّق ذاته ، وتتوفر له

---

(١) خليل ، د . عماد الدين ، م . س ، ص ٨١ .

(٢) خليل ، د . عماد الدين ، م . س ، ص ١٢٣ .

الطمأنينة على المستقبل والمصير ، بعملية تـوازن روحي ومادي ، وتكـامل كمّي كيفي ، يجعـل من الفرد شخصيـة متوازنـة مترابـطة القدرات ، مما ينتج بالضرورة مجتمعاً متوازناً في كل ما فيه ، مترابط الأجزاء والقوى.

٦ ـ العلمانية دعوة صهيونية ـ استعمارية :

لقد سعى اليهود بكلّ ما نصبـوه من شباك التخـريب الثقافي والأخلاقي لضرب أسس الايمان عند سـواهم من الشعوب ، حتى تتحول هذه الشعوب الى فرائس يصطادونها لتحقيق أهدافهم بالطرق المناسبة .

فالدعوات الى محاربة الأديان ، انطلاقاً من الثورة على رجال الدين ، والسعي لاحلال شرائع وضعية متحلّلة من أية ضوابط وثوابت مستمدة من الأديان ، وصولاً الى مجتمعات لادينية وملحدة ، كلها طموحات صهيونية .

وهذا يؤكّده ما جاء في البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون،حيث يقول اليهود: «يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ، اذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي الى تعاليمنا على دين موسى الذي وكّل الينا واجب اخضاع كل الأمم تحت أقدامنا »[١] .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ، م . س ، ص ١٥٢ .

ولكي يقوم اليهودي باشاعة الالحاد واللادينية فمن واجبه تخريب قواعد الايمان ، ومن ثمّ الصاق تهم التخلف والجمود بالدين وبالقائمين بدور رجال الدين ، وفي هذا المجال نراهم يشوّهون صورة القائم بمهام ذات طابع ديني ، لأن ذلك يعطّل دورهم ، ويمنع انتشار الرسالة ، والقيم التي يحملون .

لذلك من المهم أن لا نصدّق كل تهمة تشاع عن العلماء ، والمشتغلين بالشأن الديني ، وأن لا نروّج ما يردّد في هذا الباب من نكات وأمثلة ، لأنه يمكننا تصنيفها بأنها من اسرائيليات التراث الشعبي . وحول هذا الموضوع يقولون في البروتوكول السابع عشر : « قد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس ، وبذلك نجحنا في الاضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا »[١] .

والغاية هي تعطيل دور الدين في توجيه حياة الناس الى شاطىء الأمان والاستقرار الذي تتحقق في رحابه طمأنينة الانسان وانسانيته . فالصهاينة سيبذلون كل جهد يستطيعونه ليحقّقوا هذه الغاية ، غاية سيادة التشريعات والقواعد السلوكية اللادينية ، لأن هذه ستثمر فساداً أخلاقياً ، وانحرافاً باتجاه الشهوات الحسية ، مما يجعل الفرد والجماعة في مثل هذه الأحوال عرضة للإغراءات ، والمفسدات تمهيداً لتعطيل دورهم وصرف طاقتهم دون طائل .

فالموجّه والمرشد والداعية عدو لدود للصهاينة ، فهم من

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ، م . س ، ص ١٦٧ .

يحاول إغراق الناس في المفاسد والالحاد ، وهو سفينة النجاة التي تحملهم إلى عزّتهم ورفعة شأنهم ، لذلك نراهم يحاولون تعطيل دور القائمين على الشأن الديني ، حيث يقولون : « سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة ، . . . ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأمميّة الدينية وغيرها عن طريق كل أنواع المقالات البذيئة لتخزيها وتحطّ من قدرها »[1] .

تأسيساً على ما تقدم نقول : إن دعوات اللادينية (العلمانية) هي دعوات مشبوهة أقل ما يقال فيها إنها تخدم الأهداف الصهيونية ، والأهداف الاستعمارية التي تريد إفساد مجتمعاتنا ، ورميها في وحول الماديّة ، وقيادتها الى الضياع والزيغ عن صراط الله المستقيمة ، لكي تصبح مهيّأة لمؤثراتهم وتوجيههم .

لهذا يمكن القول : بأن الاستعمار قد جاء « يحمل معه صيغته الثقافية ليطبع بها جميع وجوه الحياة في المجتمع العربي ، وقد كانت العلمانية هي من جملة ما جاء به الاستعمار الى العالم العربي وسائر بلاد العالم الاسلامي »[2] .

٧ ـ استنتاجات وشبهات :

يمكن أن نعدّ العلمانية دعوة ثقافية ـ سياسية منبعها صهيوني ـ استعماري على ضوء ما تقدّم الحديث عنه ، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ بلادنا مهد رسالات السماء ، وأبناؤ ها حملوا الدعوة الى

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ، م . س ، ص ١٦٨ .

(٢) شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، . س ، ص ١٧٢ .

أرجاء العالم كلّه وما يزالـون ، وتحويـل مجتمعاتنـا الى مجتمعات لادينية ، يفقدها دور الريادة العالمي .

٢ ـ إن الايمان يعطي الأمل في الظروف العَصيبة ، الأمل في مستقبل أفضل ، وفي هذا إذا ما ضعف العطاء الحضاري للأمة ، أو سقطت الدولة فيها ، فإن الايمان يحمي المجتمع من الاستسلام ، ويعطيه قوة الدفع للعودة الى الدور المفقود .

٣ ـ إن تخـريب الايمان ، وتلويث سلوك النـاس بالمفـاسـد لجعلهم عبيداً للمادة ، يتّبعـون الشهوة في كـل زاوية ، هـو هدف صهيوني ، واللادينية (العلمانيـة) التي هي الغاء لأيـة قيم تحمي الانسان وتعصمه من السقوط الأخلاقي ، هي الخـادم الأمين لهذا الهدف الصهيوني .

٤ ـ إن رسالات السماء ، والاسلام بشكل خاص ، كانت وما زالت المدد الذي لا ينضب للعطاء الحضاري لأمتنا ، وبتعطيل دورها تمّ السقوط والانزلاق بـاتجاه الـركود والتخلف ، وبـاليقظة الـدينية الايمانية نكون قد بدأنا من جديد أخذ دور الأمة المنقذة للبشرية كلّها من شبح الرؤوس النووية ، والمجاعات التي تسبّبها الدول الجشعة المتحكمـة بلقمة عيش الشعـوب ، وبالتـالي فـإن تعـطيـل الـدور الحضاري للدين ، وتحويل المجتمعات إلى العلمانية يعدّ مؤامرة على هذا الدور الانقاذي الذي حدّدته الآية الكريمـة : ﴿ وكذلـك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[1] .

---

(١) البقرة ، آية ١٤٣ .

٥ ـ الإسلام وهو خاتم الرسالات السماوية ، هو الذي ساهم في التكوين المجتمعي للأمة العربية ، ونسج خيوطها على الوجه الذي نراه اليوم ، فاكتمل تكوينها بفضله وفعله ، كما أن للعرب دوراً أساسياً في حمل الرسالة المنزلة الى البشرية كلّها . وبهذا تكون الدعوة للعلمانية واللادينية مؤامرة تستهدف ضرب الكيان المترابط للأمة العربية ، وبكلمة تكون العلمانية : مؤامرة على الاسلام والعروبة .

٦ ـ إذا كانت وحدة اللغة ، هي واحدة من ركائز تواصل العرب ووحدتهم ، بتكامل وطنياتهم ، وتواصلهم الثقافي والاجتماعي ، وإذا كان القرآن الكريم هو الذي وحّد التعبير اللغوي عند العرب ، وحفظ اللسان العربي سليماً على مدى أربعة عشر قرناً ، رغم المعاناة والمصاعب ، فإنه من غير الخافي أن اللادينية هي افقاد العرب هذه الركيزة من ركائز وحدتهم .

٧ ـ إذا كان التاريخ واحداً من عوامل وحدة الأمم ، فإن العرب ولأسباب عديدة لا يمكن الفصل عندهم بين تاريخ عربي وتاريخ اسلامي ، لدرجة أنك اذا قلت : تاريخاً عربياً ، أو تاريخاً اسلامياً ، أو تاريخاً عربياً اسلامياً ، فإنك تكون قد عنيت أمراً واحداً لا تمايز فيه . وبذلك يصبح تطبيق اللادينية فصل للتاريخ ، أي عزله عن التراث والماضي ، وهكذا تصبح مجتمعاتنا في ظلّ العلمانية بلا جذور ، كريشةٍ تتقاذفها الأهواء والأطماع .

٨ ـ إن الإسلام هو التشريع المتكامل للعبادات والمعاملات ، وفيه القواعد الأساسية لأي اجتهاد أو استنباط للأحكام ، وفيه

الضوابط المانعة من الانحراف ، أو الظلم ، أو قبول الذّل ، وفيه قِمّة الوطنية في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات دون أرضه فهو شهيد » . فلست أدري ما هي المصلحة بتعطيل دور الهدي التشريعي الاسلامي وهو من عند الله تعالى ، لاستبداله بقواعد تشريعية وضعية خاضعة لأهواء من وضعوها ، أو أصطلحوا عليها . مع العلم أن هذا التعطيل هو ارتداد عن الاسلام خاصة ، والإيمان بالله عامة .

٩ ـ إذا كان الإسلام قد شكّل الحصن المنيع لحماية الشخصية الوطنية في كثير من البلاد العربية والاسلامية ، في مواجهة كل ضروب الاستعمار ، والمثال الجلي يؤخذ من الجزائر . فما هي المصلحة في اللادينية التي تفقدنا هذا الحصن في وقت تتسابق فيه الدول الكبرى لتحقيق مصالحها على حسابنا ، وتشتد علينا الهجمة الصهيونية الشرسة ؟ إلاّ إذا كان يقصد دعاة العلمانية فتح الحدود والسدود أمام القوى الاستعمارية ، وأمام اسرائيل !! .

١٠ ـ وإذا كانت العلمانية قد أدّت الى ضياع الانسان في المجتمع الأوروبي ، وفكّ عرى التكوين الأسروي ، والى انتشار أبشع أنواع السلوك ، والتي كان آخرها اقرار « اللواط » في بريطانيا ، فما هي المصلحة لنا في العلمانية ؟ . والدين هو العاصم والضابط لنا عن كل ذلك .

١١ ـ أما إذا كان المقصود باللادينية إنهاء الصراعات والحروب الأهلية ، فإن من يظنون ذلك مخطئون ، لأن بريطانيا لم تحلّ فيها مشكلة الكاثوليك والبروتستانت ، وتركيا لم تحقّق التقدّم علماً أنه

مضى على تطبيق العلمانية فيها ما يزيد عن نصف قرن ، والدول الأوروبية الاستعمارية ، فيها حكومات لادينية ، ومع ذلك كانت ، وما زالت تتصرف حيالنا انطلاقاً من صليبية القرن الحادي عشر . فاللادينية لم تلغِ العنصرية والتعصب عند هذه الشعوب ، وإنما على العكس فلو فهم المسلم مبادىء الاسلام وقيمة ، وكذلك المسيحي ، لعلم الجميع أنهم من عيال الله ، وأنهم مستخلفون في الأرض للتعاون من أجل إعمارها ، وتحقيق سعادتهم ، ونيل مرضاة الله ، وليس من أجل التنازع والتغالب ، وقهر بعضهم بعضاً ، لأن تلك هي شريعة الغاب ، وليس شريعة بني البشر .

إن طرح العلمانية هو احراج ، وتآمر وليس سعياً لحلّ المشكلات حتى في لبنان الذي يعاني من مشكلة الطائفية والمذهبية ، لأنّ الحلّ ليس في لادينية تفقدنا الأمان والاستقرار ، وتضرب وحدتنا وقيمنا ، وإنما الحلّ في الغاء الطائفية السياسية والادارية ، لأن « التخلّف آتٍ من الطائفية السياسية التي جعلته نظاماً بدائياً غير علمي ، ومن عمل هذه الطائفية المعوّق والشّالّ لفعالية كل الأجهزة الادارية والسياسية ، وما علينا لكي نضع أنفسنا في آفاق التقدّم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي إلّا أن نلغي الطائفية السياسية من كل مؤسسات المجتمع السياسي لنجد أن كثيراً من مشاكلنا قد وجدت حلولها المناسبة »[1] .

وإذا كانت العلمانية مرفوضة لأنها غرض استعماري في مجال الفكر السياسي ، فإنّ الطائفية ، والتستّر بالدين من قبل طلاب

---

(١) شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، م . س ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

المكاسب على حساب الشعب أمر مرفوض أيضاً .

إن إلغاء الطائفية الادارية ، وفتح باب الكفاءات يضاف اليه اعتماد مبدأ حقوق المواطن في بلده ، وليس حقوق الطوائف ، هو الحلّ الأفضل ، أما إبقاء الطائفية هو افتراء على الدين وعلى الوطن . والعلمانية هي هدف استعماري ، وضرب لشخصية الوطن ، والعلمانية باتت ستاراً لمبادىء إلحادية لم تستطع النفاذ بشكل مباشر ، وبالتالي فهي شعار يراد به باطل ولا تقلّ خطراً عن الطائفية نفسها .

هذا العمل الذي حاولت فيه التوفيق بين موضوعية البحث وشديد الحرص على تنفيذ دعوة الله تعالى لبني البشر باجتماعهم على الكلمة السواء التي هي توحيده تعالى ، وعدم الاقرار بالعبودية لغيره .

حاولت في هذه الفصول التي هي أبحاث ومقالات ألقيت ونشرت في أوقات سابقة ، أن أجيب على تساؤلات يحرص كثيرون على معرفة الجواب لها ، ليكونوا على بصيرة من أمرهم .

في هذه الفصول حاولت ايضاح قواعد العلاقات الدينية بين المسلمين أنفسهم رغم تعدّد مذاهبهم ، والعلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، وحاولت أن أتلمس الطريق إلى إظهار مخاطر الصهيونية واللادينية (العلمانية) على كل المؤمنين ، خاصة لأننا ، كما سبق ، القول نعيش حقبة بروز مؤشرات اليقظة الدينية .